منبر الإسلام

دينية ثقافية

العدد السادس (غرة جمادى الآخرة ١٣٧١ هـ — ٢٦ فبراير ١٩٥٢ م) السنة التاسعة

المدير ورئيس التحرير
عبد الله المراغى
مدير قسم المساجد
الإدارة : قسم المساجد
بوزارة الأوقاف
تليفون : ٨٥٣٩٤

منبر الإسلام
مجلة المساجد
دينية ثقافية

الاشتراكات لمدة سنة
داخل القطر ٤٨٠ مليما
خارج القطر ٦٠٠ مليم
العدد السادس
السنة التاسعة

(يصدرها قسم المساجد بوزارة الأوقاف)

غرة جمادى الآخرة سنة ١٣٧١هـ — ٢٦ فبراير سنة ١٩٥٢م

الفهرس

صفحة

الاسلام يأمر باتقاء الفتنة : لحضرة صاحب العزة الأستاذ الكبير سيدزهران بك مراقب عام الشئون الدينية بوزارة الأوقاف . . . ١

هداية القرآن

واعتصموا بحبل الله جميعاً : لحضرة المربى الكبير الأستاذ عبد المغنى المنشاوى . ٤

هدى الرسول

التضامن الاجتماعى فى الاسلام : لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ أبى الوفا المراغى ٩

أسرار الشريعة

معاملة المسلمين لأهل الذمة : لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد الله المراغى ١٢

الفتاوى : لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد الله المراغى ١٨

أعلام الاسلام

حمزة بن عبد المطلب : لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد الله المراغى ٢٢

طرائف : بقلم ع . ع . س ٢٦

المنبر العام

إعجاز القرآن : بقلم الأستاذ الأديب ع . ا . ع ٢٩

أبو نصر الفارابى : لحضرة الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى . . . ٣٨

مدى الاستقلال فى التشريع الاسلامى : لحضرة الأستاذ نجيب محمد عطية ٤٣

الأحلام المزعجة : لحضرة الأستاذ محمد الفاتح جاد ٤٩

الخطابة

الاسلام دين الأمن والسلام : ٥٦

مكافحة الاسلام للتسول : ٦٠

الاسلام يأمر باتقاء الفتنة

لما كان المجتمع الإنسانى عرضة لكثير من العلل الإجتماعية ، والآفات الخلقية ، التى تؤثر فى كيانه ، وتهد من بنيانه ، وكان بعضها شديد الخطر ، عميم الأثر ، قد يصل إلى حد الفتنة العامة الجائحة ، نبه الإسلام أتباعه إلى ما يجب عليهم لاتقاء هذه الفتن ، والعمل على صيانة المجتمع من الوقوع فيها ، والإصابة بها ، قال تعالى : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ، واعلموا أن الله شديد العقاب » .

والفتن التى يعم أثرها ، ويتفاقم ضررها ، ولا تقف الإصابة بها عند حدود الظالمين ، بعضها يتصل بتعاليم الدين والأخلاق ، وبعضها يمس الأمة من نواحيها الاجتماعية والاقتصادية والمالية ، وقد تمس هذه الفتن كيان الدولة ونظمها الأساسية ، وهذه أشدها خطراً وأبعدها أثراً .

فمن الفتن الدينية ، السكوت على المتهاونين بشعائر الدين ، ولقد صور لنا رسول الإسلام مغبة ذلك أصدق تصوير ، فى قوله عليه السلام : « مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها ، كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، وكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا فاستقينا ولم نؤذ من فوقنا ، فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وان أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً » ، ولقد نعى القرآن الكريم على فريق من بنى اسرائيل أنهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، قال تعالى : « لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون » .

ذلك بأن المنكرات أمراض خلقية ، وهى فى عدواها أشد من الأمراض الجسمية ، فاذا ظهرت ولم تعالج علاجاً حاسماً ، انتشرت ، وعم ضررها البر والفاجر ، وفى هذا يقول الرسول ﷺ : « إذا خفيت الخطيئة لا تضر إلا صاحبها ، وإذا ظهرت فلم تغير ، ضرت العامة » .

وقد عرف المسلمون فى فجر الدعوة الإسلامية بالتناصر فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، لا يخشون فى ذلك لومة لائم ، حتى امتدحهم الله بقوله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

ومن الفتن الخلقية ، تلك العادات السيئة ، والتقاليد الضارة التى درج عليها كثير من الأفراد والأسر ، من العكوف على الملاهى ، تاركين شؤون المنزل وتربية الأولاد والولوع بالبذل ، والظهور بمظهر الثراء الزائف ، والاغراق فى التبرج الآثم ، حتى أصبح الناس يتنافسون فى هذا ، لا يبالون ما يجره عليهم من فساد فى الأخلاق ، وضرر بالقومية ، وخطر على الشرف والكرامة ، وقد حملهم على ذلك التقليد الأعمى للمدنيات الكاذبة ، زاعمين أنه تقدم وحضارة ، تاركين تقاليدهم القومية التى ورثوها عن آبائهم ، وأخذوها عن دينهم ، وما من شك فى ان تقاليد الأمة من أهم مقوماتها ومشخصاتها . وان الأمة التى تترك تقاليدها المجيدة إلى تقاليد غيرها ، أمة مهددة بالانحلال والانهيار ، فقد رضيت بفناء شخصيتها ، وزوال قوميتها ، وإلى ذلك يشير الرسول ﷺ بقوله : « من تشبه بقوم فهو منهم » .

ومن الفتن الاجتماعية ، افتراق الكلمة ، وهى آفة اجتماعية من أخطر الآفات على كيان الأمة ، من الناحيتين القومية والوطنية ، وقد يكون سببه تعصباً طائفياً ، أو اقليمياً أو حزبياً ، فتنحل بذلك عرى الوحدة الوطنية ، وأواصر الاخوة الإنسانية ، فاذا لم نضرب على أيدى الداعين إلى الفرقة ، استشرى الداء وعز الدواء ، وأصبحت الأمة مطمعاً للطامعين ، ولقمة سائغة للمستعمرين ، وقد بين

القرآن الكريم أثر الفرقة فى كيان الأمة ، فقال جل شأنه : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » وحذرنا الرسول ﷺ من ذلك فقال : « من فارق الجماعة قيد شبر ، فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه » .

ومن هذه الفتن وجود بعض العناصر الخبيثة ، التى تسول لهم نفوسهم الخروج على القانون ، والعبث بالأمن والنظام ، فى مأمن من غضب الأمة ، وعقاب الحاكم ، ومحاسبة الضمير ، غير آبهين بما يجره ذلك على وطنهم من سمعة سيئة ، وخراب ودمار ، ونقص فى الأموال والأنفس والثمرات .

هذه مثل للفتنة التى أمرنا الاسلام ان نتقيها ، فنجعل بيننا وبينها وقاية تمنع ضررها ، فما هى الطريقة التى نسلكها لبلوغ هذه الغاية ؟

ان واجب القادة والمفكرين فى كل أمة ، ان يتعرفوا حال مجتمعهم ، ويتحسسوا ما يطرأ عليه من تقلبات فى شتى نواحيه ، الدينية والخلقية والاجتماعية والاقتصادية ، وان يقرءوا فى صفحات الحوادث ما ينبئهم عن سير الأمور ، كما يقرأ ربان السفينة فى صفحات الجو ، مايستقبله من ريح رخاء أو ريح عاصف ، فيبسط شراعه أو يطويه ويسير بسفينته أو يرسيه ، فاذا رأى هؤلاء القادة والمفكرون ، ان الأمة فى حاجة إلى النصح والإرشاد ، للبعد عن مواطن الخطل ، بذلوا فى سبيل ذلك كل الامكانيات ليجنبوها الخطل ، وإذا رأوا انها بحاجة إلى التعليم والتهذيب والتقويم ، للتسامى عن الزلل ، وفروا لها ذلك لصيانتها من الزلل. وإذا رأوا ان عوامل الضيق والعسر والغلاء ، قد تدفعها إلى الانحراف وبلبلة الأفكار والانتقاض على النظام ، عالجوا ذلك بعوامل التيسير والترفية والرخاء .

بهذه الوسائل وأمثالها ، يمكن اتقاء الفتن قبل وقوعها ، والوقاية خير من العلاج ، فاذا ما وقع ما ليس فى الحسبان ، وانحرف البعض عن الجادة ، وجب ان نتضافر للقضاء على الفتنة فى مهدها ، وان نعمد إلى جميع الوسائل التى توصلنا إلى أهدافنا ، لاستئصال أسباب الفتنة ، بالعلاج النفسى والاجتماعى والمادى والتشريعى ، هذا هو طريق السلامة والنجاة ، والله المسئول ان يهدينا سواء السبيل .

سيد زهران
مراقب عام الشئون الدينية بوزارة الأوقاف

هداية القرآن

واعتصموا بحبل الله جميعا

—— * ——

بسم الله الرحمن الرحيم

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتـــدون » صدق كتاب الله ، وباركتنا آيات الله .

اعتصموا : تمسكوا . حبل الله : كتاب الله ، كما روى عن رسول الله عليه صلوات الله « كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض » أو هو الطاعة والجماعة ، كما روى عن ابن مسعود عليه الرضوان .

شفا حفرة من النار : طرف حفرة من جهنم - نعوذ بالله من نار غضبه ، ونسأله سبحانه جنة رضاه .

أيها القارىء الكريم ، بل أيها الأخ المؤمن ، بل أيها الأخ فى الله :

جرى القلم من قبل أن تكتحل الأعين بنور هذا الوجود ، بأن كتب ربنا على نفسه الرحمة ، وهذه رحمات السماء تتسابق وفودها ، وتتساوق ألطافها ، تقدمها يد الرحمن ، هدايا رحمانية ، على موائد ربانية ، لأبناء آدم وحواء ، منذ أن سوّى الله بيديه آدم وحواء .

كواكب من السماء تشرق للناس فى صور كتب مقدسة ، تمحو بنورها الظلم ، وتهدى بهديها الأمم ، وأنوار من إشعاعات النور سبحانه ، تهبط على الناس فى أزياء رسل مبشرين ومنذرين ، الى طريق السعادة داعين ، وعن طريق الشقاوة مانعين

صارفين ، ولو ترك النـاس وشأنهم فى دنيا الناس هذه ، وحرموا هذه الرحمة الرحمانية ، وهذه الاشعاعة الربانية ، لضلوا وذلوا ، بل لقتلوا أنفسهم بأسلحة من غرائزهم الجامحة ، وطبائعهم الفاسدة ، ولـكن رحمة الرحمن وسعتهم ، وإن الله بالناس لرءوف رحيم .

شرفت هذا الـكوكب الأرضى رسالة محمـد عليه الصلوات ، فكانت أتم الرسالات ، وخاتمة الرسالات ، إذ باع رسول الله فى أدائها نفسه المثالية الزكية ، يجشمها المخاطر ، ويركبها الأهوال ، فى سبيل استئصال جذور الشرك ، وتثبيت قواعد التوحيد ، ونشر ألوية مكارم الأخلاق ، بين من أسلموا وجوههم لله ، وباعوا نفوسهم فى الله ، لتصنع منهم يد محمد بن عبد الله ، باتباع دستور كتاب الله ، وتحت عين العناية الساهرة من مولاه : خير أمة أخرجت للناس .

أيهـا الاخوان المؤمنون : ان مدرسة القرآن قد فتحت أبوابها ، ونادت باسم الله طلابها ، فطوبى لمن أسرع فأجابها ، وأقبل على دروسها السماوية يتفهم آدابهـا ، ويدرس كتابها ، وما ظنكم بمدرسة مؤسسها الله ، ومعلمها الأول محمد رسول الله ، لا تتقاضاكم على تعليمها أجرا « قل لا أسألكم عليه أجرا » وإنمـا تتقاضاكم ، إيمانا راجحا وعملا صالحا ، وصبراً وشكراً ، مدرسة أسست على التقوى من أول يوم ، تخرج فيها ألوف الألوف من طلابها الناجحين الصالحين ، فكانوا الغزاة فى سبيل الله الفاتحين ، والهداة المؤدبين ، والساسة البررة الصادقين البارعين ، استمعوا الى هذا الدرس العجب ، من كتاب الله العجب « واعتصموا بحبل الله جميعا » فلن يسمو لكم فى أفق العز عنوان ، ولن يتطاول لكم فى سماء المجد بنيان ، إلا إذا كان أساسه القوى المبارك ، صدق الايمان وطاعة الرحمن ، — ولا يحلمن شعب أنه صاعد فى سلم المجد درجا ، أومستبدل بهمه فرجا ، أو نائل من عدوه نيلا ، إذا لبث مزعزع العقيدة مقوّض أركان الايمان ، سادراً تحت سلطان شيطانه وهواه فى مضطرب الغواية والعصيان — فأس آساس النجاح ،

إيمان ثابت بالله ، وطاعة خالصة لوجه الله ، وأخوة فى الله تنتظم قلوب المؤمنين تروسا ودروعا ، تصون جوهرة الايمان ، وتحمى كنوز الأوطان ، وتوفر لجماهير المسلمين العزة والكرامة ، والسلام والأمان :

« ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا » .

سيدى رسول الله :

جئت والخلف علة لقلوب أكلتها الأحقاد والبغضاء
فوصفت الدواء إكسير حب عنصراه تناصر وإخاء

على ضوء هذه المبادئ السامية ، والدستور السماوى من شريعة محمد عليه الصلوات ، آخى صاحب الرسالة الكبرى ، بين جماهير المسلمين ، إخاء تتضاءل أمامه أخوة الأرحام ، وتنحل وشائج القرابات .

ذلكم بعد إذ كان العرب فى ظلام جاهليتهم ، وقبل أن تطالع عيونهم شمس الاسلام ، مستهترين بمعاقرة بنت الحان ، تحقر منهم الأحلام ، وتؤرث بينهم نار الخصام وتقترف بها الآثام على عين الشيطان ، فتقربها عين الشيطان ، كما كانوا المولعين بالميسر ، يفسح للخراب الطريق إلى جيوبهم ، كما يفسح للعداوة والبغضاء السبيل إلى قلوبهم ، يغريهم بالرغبة فى الكسل ، والرغبة عن العمل ، فما قرعت آذانهم آية من كتاب الله ، على لسان رسول الله « إنما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ، ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل أنتم منتهون » حتى انتهوا عنهما ، وشغلوا عن حب الخمر والميسر ، بحب من حرم الخمر والميسر .

كانوا المرضى بحمى حمية الجاهلية ، جفاة قساة طغاة ، يئدون البنات لأوهى الشبهات ، ويشرعون الحراب لأتفه الأسباب ، تستجيب سيوفهم لأول ناعق ، ولو كان على غير حق ، فما احتوتهم مدرسة القرآن ، وتعهدهم معلمها الأول

عليه الصلاة والسلام ، حتى برئوا من حمى جاهليتهم ، وتخرجوا على يديه الكريمتين ، علماء ، حلماء ، حكماء ، لا تثور نفوسهم ، ولا تتمرد على أغمادها سيوفهم ، إلا باسم الحق ، فى سبيل نيل الحق ، أو الذود عن بيضة الحق .

سيدى يارسول الله : حدثنى بحبى إياك ، وحبك مولاى ومولاك ، أى سحر حلال أسلس قياده إليك ؟ وأية معجزة سماوية كبرى مشت بين يديك ، فى ربوع هذه الجزيرة الغبراء ، فاستحال سكانها كواكب سماء ، تحسدها كواكب السماء ، وتنقلت على عين الله فى مداراتها المبـــاركة ، تحمل عنك للناس رسالة الهداية والضياء ، يا لرسالتك القدسية المباركة ، التى خدمتها الملائكة ، وباركتها يد الله ، فأخرجت من رعاة الغنم ، رعاة الأمم ، يحملون باسم الله وباسم الاسلام ، مشاعل الحضارة والمدنية ، يتقدمون بها مواكب الانسانية ، ويخطون الملك فى لباقة وأناقة وارتفاق ، على أسس متينة من مكارم الأخلاق ، فياله من دستور سماوى حكيم ، تخرج فيه المسلمون على يدى نبى حكيم ، وتوارثته أجيالهم كابراً عن كابر ، فعاشوا فى سلام المسلمين وعزة المؤمنين .

ذلكم هو بعض ثمرات المعنى السامى للأخوة الاسلامية ، التى يهدف إليها كتاب الله بقوله « إنما المؤمنون إخوة » فأحبب بها من أخوة مثالية مباركة ، يؤمن بها المسلم بجانب إيمانه بالله ، انه أخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه ، وان عروة الاسلام الوثقى تتقاضاه ان يؤثر أخاه حتى على نفسه ، لأنه عدل أخيه ، من أمه وأبيه ، لا بل ان أخوة الدين أوكد من أخوة القرابة .

قيل لحكيم : أيهما أحب إليك ، أخوك أم صديقك ؟ فقال : إنما أحب أخى إذا كان صديقاً لى . والحكمة تقول : رب أخ لك لم تلده أمك . ذلكم بأن القرابة تحتاج إلى مودة ، والمودة لا تحتاج إلى قرابة ، وهذا رسول الله عليه صلوات الله يقول : من أراد الله به خيراً رزقه خليلا صالحا ، إن نسى ذكره ، وان ذكر أعانه . ويقول : من آخى أخاً فى الله رفعه الله درجة فى الجنة لا ينالها بشىء من عمله . ويقول : ان حول العرش منابر من نور ، عليها قوم لباسهم نور

ووجوههم نور ، ليسوا بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء . فقال الحاضرون من الصحابة : يارسول الله صفهم لنا ، فقال : هم المتحابون فى الله ، والمتجالسون فى الله ، والمتزاورون فى الله . ويقول عليه الصلوات : ان رجلا زار أخاً فى الله ، فأرصد الله له ملكا ، فقال أين تريد ؟ قال أريد ان أزور أخى فلانا ، فقال لحاجة لك عنده ؟ قال لا ، قال لقرابة بينك وبينه ؟ قال لا ، قال فبنعمة له عندك ؟ قال لا ، قال فبم ؟ قال أحبه فى الله ، قال فإن الله أرسانى إليك يخبرك بأنه يحبك لحبك إياه ، وقد أوجب لك الجنة . وهذا مجاهد عليه الرضوان يقول : المتحابون فى الله إذا التقوا فكشر (أى تبسم) بعضهم إلى بعض ، تتحات (تتساقط) عنهم الخطايا كما يتحات ورق الشجر فى الشتاء . وهذا الفضيل عليه الرضوان يقول : نظر الرجل إلى وجه أخيه على المودة والرحمة عبادة .

على إشعاع هذا الدستور الاسلامى العجب ، الذى يربط قلوب الاخوة المسلمين ، برباط أقوى من القرابة والنسب ، يجب ان يجمع المسلمون فى بقاع الأرض أمرهم .

ولقد منّ الله علينا وعليكم ، ولله المن والفضل ، بنعمة الايمان ، التى تتبعها نعمة الأمان من الخبال فى الدنيا والعذاب فى الآخرة ، فقال «وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » .

ألا إنما الاخوان فى الله وحدة ... يباركها الاسلام فى الشرق والغرب
فإما تجدهم قد تناءت ديارهم ... فإنهمو كالجسم والدين كالقلب
إذا قيل هذا مسلم قلت يا أخى ... مكانك من قلبى مكان أخى الصّلب
فيا ملة الإسلام يا خير ملة ... توثق ما بين الأعاجم والعرب
ليلبث دين الله دين أعزة ... أعزهم القهار فى محكم الكتب
ويجرى بوادى النيل نهر كرامة ... أعز على واديه من نيله العذب

أما بعد فهذا بعون الله بشير الفوز تلمح أعيننا بوادره فى وحدة الكلمة ولله الحمد فى الأولى والآخرة .

عبدالمغنى المنشاوى

هدى الرسول

التضامن الاجتماعى فى الاسلام

عن أبى موسى الاشعرى عن النبى ﷺ قال : « على كل مسلم صدقة فقالوا : يانبى الله فمن لم يجد قال : يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق قالوا : فان لم يجد قال : فليعمل بالمعروف وليمسك عن الشر فانها له صدقة »

ربط الاسلام بين المسلمين بروابط قوية تجعل منهم أمة واحدة متماسكة متكافلة ، متناصرة متعاونة وجعل كلا منهم أخا للآخر ينبغى ان يحب له مايحب لنفسه ويكره له مايكره لنفسه ، وحرص فى تعاليمه ان يكون كل مسلم عضوا عاملا فى جماعة المسلمين يؤدى رسالته لاسعاد نفسه واسعاد جماعته وكره للمسلم ان يكون عضوا عاطلا متواكلا متكاسلا لاينفع نفسه ولا ينفع الناس وليس أبلغ فى الدلالة على مانقول من هذا الحديث الذى صدرنا به كلمتنا .

ففى هذا الحديث توزيع للأعمال على أفراد الأمة الاسلامية وبيان لوظيفة كل منهم كعضو عامل فى جماعة يعتز بكرامته ويفخر بجماعته، وفيه حث على التكافل الاجتماعى بين المسلمين بل ان فيه دفعا عنيفا أشبه بدفع الجنود الى ميادين الحرب وساحات القتال .

وقد بدأ الحديث ببيان التعاون المالى بين المسلمين فأوجب على الأغنياء حقا فى أموالهم للفقراء ولم يعين مقدارا من المال يصبح به المسلم غنيا يجب عليه فى ماله حق للفقير، بل أطلق ذلك ليوجب التصدق بما أمكن ولو قليلا فان القليل فى نظر الغنى كثير فى نظر الفقير يسد خلة ويدفع حاجة ويطعم جائعا ويغيث ملهوفا، ولم

يكتف بذلك بل أوجب على المسلم ان لم يجد مالا يعين به أخاه ويصلح به من شأنه وشأن مجتمعه ان يعمل بيديه لينفق على نفسه وأهله ويسمو بهم عن ذل الحاجة ويكرمهم بالاستغناء عن الناس ويعين البائسين من اخوانه بما ينفس عنهم ويفرج من كربهم .

وفى هذا إشارة الى قيمة المال وضرورته فى حياة الأفراد وسعادتهم وحياة الأمم وسعادتها ، وإلى ضرورة السعى فى سبيله بكل وسيلة مشروعة سواء عن طريق التجارة أو الزراعة أو الصناعة أو غيرها كما ان فيه إشـــارة الى ضرورة السعى والكدح للمعاش وهو من أهم مقاصد الاسلام لأنه سبيل الخير والسعادة للأفراد والجماعات وما فضل شخص شخصا ولا أمة أمة الا بمقدار ما يبذله كل منهم من سعى ونشاط وعزيمة واخلاص ، فان لم يستطع المسلم المساهمة فى خير الجماعة مساهمة مالية ولم يستطع العمل والحصول على المال ليساهم بهذه المعونة فان عليه للجماعة حقا آخر وهو أن يعين الملهوف أى المكروب الواقع فى شدة بما يمكنه من إعانة كأن ينصحه أو يرشده الى طريق الخلاص مما هو فيه ، أو يعزيه ويسليه أو نحو ذلك مما يدخل فى استطاعته فان لم يستطع ذلك أيضا فلن تبرأ ذمته من واجب الجماعة نحوه بل عليه واجب آخر تفيده منه وهو ان يأمر بالمعروف أى يدعو الى الخير وما يرضى الله عنه مما شرعه وعرف أثره فى اسعاد الجماعة ورقيها ، ويطلب الى اخوانه المسلمين ان يعتصموا به ويستمسكوا بحبله « والمعروف اسم جامع لكل ماعرف من طاعة الله والتقرب اليه والاحسان الى الناس وكل ماندب اليه الشرع ونهى عنه من المحسنات والمقبحات » ويمسك عن الشر فلا يؤذى إخوانه المسلمين، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، ولا يؤذى نفسه بمعاصى الله وانتهاك حرماته .

وقد تبين من هذا الحديث ان على المسلم ضمن جماعة المسلمين ان يكون له عمل منتج لخير نفسه وخير جماعته فتارة يكون عملا ايجابيا بالصدقة والعمل الصالح

واغاثة الملهوف والنصح للمسلمين ، وتارة يكون عملا سلبيا بكف الأذى عنهم وعن نفسه كما تبين منه سعة رحمة الله بعباده وموفور فضله عليهم فقد جعل لهم على كل عمل أجرا إذا خلصت فيه النية له وقصد به التقرب اليه ، والأزلاف إلى ساحات رضاه . وفى ذلك افساح فى الرجاء للفقراء الذين يعوزهم المال للانفاق وتقديم الصدقات فجعل لهم فى اغاثة الملهوف والأمر بالمعروف والكف عن الأذى من الثواب ما للصدقات كما أشار اليه بقوله «فانها له صدقة» يعنى فان فى الخصال المذكورة صدقة أى أجر الصدقة بالمال .

هذا والترتيب فى الحديث ليس مقصودا بمعنى أنه لا يعمل الا عملا واحدا مما ذكر بل أنه لبيان حال العاجز عن خصلة من الخصال المذكورة فانه يعمل غيرها، أما من قدر على الجميع فانه يعمل الجميع .

قال العلامة ابن حجر : وليس ماتضمنه الخبر من قوله « فان لم يجد» ترتيبا وإنما هو للايضاح لما يفعله من عجز عن خصلة من الخصال المذكورة فانه يمكنه خصلة أخرى، فمن أمكنه ان يعمل بيده فيتصدق وان يغيث الملهوف وان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويمسك عن الشر فليفعل الجميع ، وبعد : فالحديث مثل رائع فى مبادىء التضامن الاجتماعى حيث دعا كل فريق من الجماعة فى تأكيد الى المشاركة فى خيرها بما فى وسعه من مال أو عمل أو قول قل ذلك أو كثر وليس فى الخير قليل . وفى الحديث: اتقوا النار ولو بشق تمرة .وفى حديث آخر: تبسمك فى وجه أخيك صدقة ، وأمرك بالمعروف صدقة ، ونهيك عن المنكر صدقة ، وارشادك الرجل فى أرض الضلال صدقة ، ونصرك الرجل الردىء البصر لك صدقة ، وأماطتك الحجر والشوك العظم عن الطريق لك صدقة ، وافراغك من دلوك فى دلو أخيك لك صدقة .

ابو الوفا المراغى
مدير مكتبة الأزهر

أسرار الشريعة

معاملة المسلمين لأهل الذمة

أردت بذلك البحث، ان أذكر أمثلة من معاملة المسلمين لأهل الذمة ، حتى يتبين مقدار عدل الاسلام وسعة صدره لمخالفيه ، وحتى نقارن تلك المعاملة بما يماثلها فى عصرنا الحاضر ، وبذلك يظهر ان دين الاسلام دين عادل ومنصف ، حتى فى معاملة مخالفيه فى العقيدة . ولقد رأيت ان أبين أولا معاملة النبى ﷺ لأهل الذمة ، وثانياً معاملة الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم من بعده .

معاملة النبى ﷺ لأهل نجران

يطلق لفظ نجران على موضعين ، الأول موضع بالعراق بجوار الكوفة والبصرة ، والثانى موضع باليمن ، والذى فى كتب الحديث وكتاب الخراج لأبى يوسف ان نجران اليمن هو الذى صالح أهله النبى عليه السلام ، قال العينى فى شرح الحديث الوارد فى أهل نجران « هو بلد كبير على سبع مراحل من مكة إلى جهة اليمن يشتمل على ثلاث وسبعين قرية مسيرة يوم للراكب السريع » .

وكان نجران منزلا للنصارى ، وكان أهله أهل كتاب ، وهذا هو حديث البخارى الوارد فى أهل نجران :

حدثنى عباس بن الحسين حدثنا يحيى بن آدم عن إسرائيل عن أبى اسحاق عن صلة بن زفر عن حذيفة قال : جاء العاقب والسيد صاحبا نجران الى رسول الله ﷺ يريدان ان يلاعناه ، فقال أحدهما لصاحبه : لا تفعل ، فوالله ان كان نبيا

فلاعناه لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا ، قالا : انا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلا أمينا ولا تبعث معنا إلا أمينا ، فقال لأبعثن معكم رجلا أميناً حق أمين . فاستشرف له أصحاب رسول الله ﷺ فقال قم يا أبا عبيدة بن الجراح ، فلما قام قال رسول الله ﷺ هذا أمين الأمة. قال العيني فى شرح هذا الحديث ذكر ابن سعد ان رسول الله ﷺ كتب إلى أهل نجران فخرج إليه وفدهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم فيهم العاقب وهو عبد المسيح رجل من كندة وأبو الحارث بن علقمة رجل من ربيعة وأخوه كرز ، والسيد وأوس ابنا الحارث وزيد بن قيس وشيبة وخويلد وخالد وعمر وعبد الله ، وفيهم ثلاثة نفر يتولون أمورهم ، العاقب أميرهم وصاحب مشورتهم والذى يصدرون عن رأيه ، وأبو الحارث أسقفهم وحبرهم وإمامهم وصاحب مدارسهم ، والسيد وهو صاحب رحالهم ، فدخلوا المسجد وعليهم ثياب الحيرة وأردية مكفوفة بالحرير فقاموا يصلون فى المسجد نحو المشرق فقال ﷺ دعوهم ثم أتوا النبى ﷺ فأعرض عنهم ولم يكلمهم فقال لهم عثمان رضى الله عنه : ذلك من أجل زيكم ، فانصرفوا يومهم ثم غدوا عليه بزى الرهبان فسلموا فرد عليهم ودعاهم إلى الاسلام فأبوا وكثر الكلام واللجاج وتلا عليهم القرآن ، وقال لهم رسول الله ﷺ ان أنكرتم اقل لكم فهلم اباهلكم ، فانصرفوا على ذلك ، وبعد هذا استقر رأيهم على عدم المباهلة والصلح مع النبى عليه السلام بأن يعطوا إليه ما طلب منهم فصالحهم النبى عليه السلام ، وكتب لهم شروطا سأذكرها بعد قليل .

والذى نص عليه الحديث هوان أباعبيدة بن الجراح هو الذى أرسل إلى أهل نجران ، وقال العينى أرسل أبو عبيدة معهم لقبض مال الصلح ثم رجع بعد ذلك ، وأراد بهذا القول أن يدفع الاشتباه الوارد فى رواية ابن اسحاق لأنه نص فيها على ان النبى ﷺ بعث علياً إلى أهل نجران ، فقال ان علياً رضى الله عنه أرسل ليأتى بالصدقات والجزية ، وأبا عبيدة أرسل ليأتى بمال الصلح ، وفى كتاب الخراج

لأبي يوسف رحمه الله ان الذى بعث إلى أهل اليمن هو عمرو بن حزم ، فقد قال أبو يوسف : حدثنى محمد ابن اسحاق ان النبي ﷺ كتب لعمرو بن حزم حين بعثه إلى نجران « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا أمان من الله ورسوله : يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ، عهد من محمد النبي لعمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن. آمره بتقوى الله فى أمره كله وان يفعل ويفعل ويأخذ من المغانم خمس الله جل ثناؤه وما كتب على المؤمنين من الصدقة فى الثمار » ولم يذكر أبو يوسف فى حكاية عهد النبي عليه السلام لعمرو بن حزم ان سببها مجيء أهل اليمن الى النبي عليه السلام كما ذكره البخارى والعينى فى شرحه ، فيجوز ان يكون إرسال عمرو بن حزم حصل من النبي عليه السلام فى مرة أخرى غير المرة التى حصل فيها إرسال أبي عبيدة بن الجراح . ثم ذكر أبو يوسف بعد ذلك نسخة الصلح التى كتبها النبي عليه السلام لأهل نجران فقال : ان نسخة كتاب النبي ﷺ لهم التى فى أيديهم « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما كتب محمد النبي رسول الله ﷺ لأهل نجران إذ كان عليهم حكمه فى كل ثمرة وفى كل صفراء أو بيضاء أو رقيق ، فأفضل ذلك عليهم وترك ذلك كله لهم على ألفى حلة من حلل الأواقى فى كل رجب ألف حلة وفى كل صفر ألف حلة مع كل حلة أوقية من الفضة فما زادت على الخراج أو نقصت عن الأواق فبالحساب ، وما قضوا من دروع أو خيل أو ركاب أو عروض أخذ منهم بالحساب ، وعلى نجران مؤنة رسلى ومتعتهم ما بين عشرين يوما فما دون ذلك ، ولا تحبس رسلى فوق شهر وعليهم عارية ثلاثين درعا وثلاثين فرسا وثلاثين بعيرا إذا كان كيد باليمن ومعرة ، وما هلك مما أعاروا رسلى من دروع أو خيل أو ركاب أو عروض فهو ضمين على رسلى حتى يؤدوه إليهم ، ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أموالهم وأنفسهم وأرضهم وملتهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم وكل ماتحت أيديهم من قليل أو كثير ، ولا يغير أسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته ولا كاهن من كهانته ، وليس عليهم رماية ولا دم جاهلية ولا يحشرون ولا يعشرون ولا يطأ أرضهم جيش ومن سأل

منهم حقاً فبينهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين، ومن أكل رباً من ذى قبل فذمتى منه بريئة ولا يؤخذ منهم رجل منهم بظلم آخر، وعلى ما فى هذا الكتاب جوار الله وذمة محمد النبى رسول الله أبداً حتى يأتى الله بأمره مانصحوا وأصلحوا ما عليهم غير متغلبين بظلم، شهد أبو سفيان بن حرب وغيلان بن عمرو ومالك ابن عوف من بنى نصر والأقرع بن حابس الحنظلى والمغيرة بن شعبة » وهذا الكتاب قد ذكر العينى مايقرب من نصفه وقد ذكر الشهود التى ذكرها أبو يوسف إلا اثنين وهما مالك بن عوف وغيلان بن عمرو، ثم قال فرجعوا إلى بلادهم فلم يلبث السيد والعاقب إلا يسيرا حتى رجعا إلى النبى ﷺ فأسلما. وقد ذكر صاحب البدائع شيئاً من ذلك الكتاب عند الكلام على الجزية (١).

معاملة أبى بكر رضى الله عنه لأهل نجران

قال الإمام أبو يوسف رحمه الله ان أهل نجران جاءوا إلى أبى بكر رضى الله عنه بعد موت النبى ﷺ فكتب لهم كتاباً، وقد ذكر مثله الطبرى حيث قال ولما بلغ أهل نجران وفاة رسول الله ﷺ بعثوا وفداً إليه ليجددوا عهداً، فقدموا إلى أبى بكر فكتب لهم كتاباً، وذكر الطبرى ذلك الكتاب، وابتداءه بالبسملة كما ذكره الإمام أبو يوسف. وأنا أكتفى هنا بذكر النص الذى ذكره أبو يوسف رحمه الله قال « بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما كتب به عبد الله أبو بكر خليفة محمد النبى رسول الله ﷺ لأهل نجران اجارهم بجوار الله وذمة محمد النبى رسول الله ﷺ على أنفسهم وأرضيهم وملتهم وأموالهم وحاشيتهم وعبادتهم وغائبهم وشاهدهم وأساقفتهم ورهبانهم وبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير لا يخسرون ولا يعسرون ولا يغير أسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته وفاء لهم بكل ما كتب لهم محمد النبى ﷺ وعلى ما فى هذه الصحيفة جوار الله وذمة محمد النبى ﷺ أبدا وعليهم النصح والاصلاح فيما عليهم من

---

(١) العينى الجزء الثامن عشر صحيفة ٢٦-٢٨. الخراج لأبى يوسف صحيفة ٨٥-٨٦. البدائع الجزء السابع صحيفة ١١١ - ١١٢.

الحق . شهد المستورد بن عمرو أحد بنى القين ، وعمرو مولى أبي بكر وراشد ابن حذيفة والمغيرة وكتب » والكتاب الذى ذكره الطبرى لا يزيد شيئاً فى معناه عن هذا إلا قوله عند جملة - أجارهم بجوار الله وذمة محمد النبى رسول الله ﷺ - إلا ما رجع عنه محمد رسول الله ﷺ بأمر الله عز وجل فى أرضهم وأرض العرب الا يسكن بها دينان . ولم يذكر الطبرى إلا شاهدين وهما عمرو مولى أبي بكر والمسود بن عمرو [١] .

معاملة عمر رضى الله عنه لأهل نجران

لما رأى عمر رضى الله عنه أن وجود النصارى بنجران اليمن قد يضر بالمسلمين أمرهم بالتحول من نجران اليمن إلى نجران العراق ، وكتب لهم كتاباً هذا نصه :

هذا ما كتب عمر أمير المؤمنين لأهل نجران من سار منهم فهو آمن بأمان الله لا يضره أحد من المسلمين وفاء له بما كتب لهم محمد النبى ﷺ وأبو بكر رضى الله عنه.

أما بعد : فمن مروا به من أمراء الشام ، وأمراء العراق ، فليسعهم من حرث الأرض ، فما اعتملوا من ذلك ، فهو لهم صدقة لوجه الله ، وعقبة لهم مكان أرضهم ، لا سبيل عليهم فيه لأحد ، ولا مغرما ، أما بعد : فمن حضرهم من رجل مسلم ، فلينصرهم على من ظلمهم ، فإنهم أقوام لهم الذمة ، وجزيتهم عنهم متروكة أربعة وعشرين شهرا ، بعد أن يقدموا ولا يكلفوا إلا من صنعهم البر غير مظلومين ولا معتدى عليهم ، شهد عثمان بن عفان ومعيقب وكتب [٢] .

معاملة عثمان رضى الله عنه لأهل نجران

لما توفى عمر رضى الله عنه ، واستخلف عثمان رضى الله عنه من بعده ، أتى أهل نجران إلى المدينة ليقابلوا عثمان رضى الله عنه ، فكتب لهم إلى الوليد ابن عقبة وهو عامله « بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عثمان أمير المؤمنين إلى الوليد بن عقبة ، سلام الله عليك ، فإنى أحمد الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد :

(١) الخراج لأبي يوسف صحيفة ٨٦-٨٧ . الطبرى جزء ثالث صحيفة ٢٦٥-٢٦٦ .
(٢) الخراج لأبي يوسف ص ٨٧ — ٨٨ .

فإن الأسقف والعاقب وسراة أهل نجران الذين بالعراق أتونى ، فشكوا إلى ، وأرونى شرط عمر لهم ، وقد علمت ما أصابهم من المسلمين ، وانى قد خففت عنهم ثلاثين حلة من جزيتهم ، تركتها لوجه الله تعالى جل ثناؤه ، وانى وفيت لهم بكل أرضهم التى تصدق عليهم عمر عقبي مكان أرضهم باليمن ، فاستوص بهم خيراً ، فإنهم أقوام لهم ذمة ، وكانت بينى وبينهم معرفة ، وانظر صحيفة كان عمر كتبها لهم ، فاوفهم ما فيها ، وإذا قرأت صحيفتهم فأرددها عليهم ، والسلام . وكتب حمران بن ابان للنصف من شعبان سنة سبع وعشرين (١) .

معاملة على رضى الله عنه لأهل نجران

لما تولى على رضى الله عنه الخلافة بعد مقتل عثمان رضى الله عنه ، قدم العراق ، فأتاه أهل نجران وتحدثوا مع على وطلبوا منه ان يردهم إلى نجران اليمن التى كانوا فيها قبل اجلاء عمر رضى الله عنه ، قال أبو يوسف : حدثنى الأعمش عن سالم بن أبى الجعد قال : أتى أسقف نجران علياً رضى الله عنه ومعه كتاب فى أديم أحمر قال : أسألك يا أمير المؤمنين خط يدك ، وشفاعة لسانك — يعنى لما رددتنا إلى بلادنا — قال : فأبى على رضى الله عنه أن يردهم وقال : ويحك ان عمر كان رشيد الأمر قال : وكان عمر رضى الله عنه أجلاهم ، لأنه خافهم على المسلمين ، وقد كانوا اتخذوا الخيل والسلاح فى بلادهم ، فأجلاهم عن نجران اليمن ، وأسكنهم نجران العراق قال : وكانوا يرون أن علياً لو كان مخالفاً لسيرة عمر لردهم ، ثم كتب لهم على رضى الله عنه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من عبدالله على ابن أبى طالب أمير المؤمنين لأهل النجرانية ، انكم أتيتمونى بكتاب من نبى الله ﷺ فيه شرط لكم على أنفسكم وأموالكم ، وإنى وفيت لكم بما كتب لكم محمد ﷺ وأبو بكر وعمر ، فمن أتى عليهم من المسلمين فليف لهم ، ولا يضاموا ولا يظلموا ولا ينتقص حق من حقوقهم ، وكتب عبدالله بن أبى رافع لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين منذ ولج رسول الله ﷺ المدينة (٢) .

عبدالله المراغى

(١) الخراج لأبى يوسف ص ٨٨ . (٢) الخراج لأبى يوسف ص ٨٨ — ٨٩ .

الفتـــــاوى

تلقينا من حضرة الأستاذ الفاضل عبد الحفيظ ابراهيم اللادقى من بيروت ثلاثة أسئلة ننشرها مع أجوبتها فيما يلى :

السؤال الأول

هل يجوز للرجال او للنســـاء لبس النظارة او الخاتم او السوار او السلسلة او الساعة او غيرها من الذهب او من الفضة او من النحاس او من الحديد او من غيره ام لا ؟

الجـــواب

القاعدة المشهورة عند الفقهاء جواز تحلى النساء بالذهب والفضة ، وعلى ذلك فيجوز للمرأة لبس النظارة والخاتم والسوار والسلسلة والساعة وغيرها من الذهب او الفضة ومن باب أولى النحاس او الحديد . ولا يجوز للرجال التحلى بالذهب مطلقاً . أما الفضة فلا يجوز لهم منها إلا الخاتم وحلية السيف ومع هذا فما يوجد من الفضة او الذهب فى النظارة إنما هو مقدار ضئيل يقل فيه الذهب او الفضة عن المادة الأخرى المختلطة به . ومثل النظارة كل حلية قل فيها الذهب او الفضة وغلب عليه غيره من المادة الأخرى المختلطة به عملا بقاعدة تغليب الأكثر على الأقل وإعطائه حكم الكل .

السؤال الثانى

هل يجوز للانسان ان يصدق او يعتقد او يتشاءم او يتوهم ان يصيبه ضرر كمرض او موت او غيره من الاعداد او من السنين او من الشهور او من الأيام او من الأوقات او من قراءة سورة او من قراءة آية او من قراءة ورد او من قراءة فائدة او من دخول بيت او من لبس ثوب او من غيره أم لا ؟

الجــــواب

لا يجوز للانسان ان يصدق او يعتقد او يتشاءم او يتوهم ان يصيبه ضرر كمرض او موت او غيره من الاعداد او من السنين او من الشهور او من الأيام او من الأوقات او من قراءة سورة او من قراءة آية او من قراءة ورد او من قراءة فائدة او من دخول بيت او من لبس ثوب او نحوه. ودليل ذلك ان علم الله قد أحاط بجميع الأشياء الواجب منها والجائز والمستحيل وان إرادته قد خصصت وجود الأشياء على وجه معين موافق للعلم وان قدر الله قد حدد أزلا كل مخلوق بحده الذى سيوجد عليه فى المستقبل من حسن او قبح او نفع اوضرر ، وان قضاء الله للأشياء تنفيذ ما سبق به العلم والارادة والقدرة . فلا يجوز عقلا ان يتغير علم الله تعالى نتيجة لوجود سبب من الاسباب المذكورة فى السؤال . ولا يجوز ذلك شرعا أيضاً للآيات الكريمة الواردة الدالة على سبق علم الله تعالى بجميع الأشياء وعدم تأثير أفعال المخلوقين فى شىء منها قال تعالى « قل إن الأمر كله لله »

تفيد الآية الشريفة ان كل الامور بقضاء الله وقدره ، ولا تأثير فيها لغيره من المخلوقين وقال تعالى : « قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم » تصرح الآية بأن المقدور لا يتخلف مهما تكن أسبابه . وقال تعالى « قل لا أملك لنفسى ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله » تقرر الآية ان المخلوق لا يملك من أمره إلا ما سبقت مشيئة الله به . وقال تعالى : « ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون » فكل أجل مرهون بوقته لا تزيد الأسباب فيه ولا تنقص منه . وقال تعالى : « لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين » . فكل ما كان وما سيكون وما ظهر وما بطن قد أحاط به علم الله تعالى وأحصاه كتابه المكنون . وقال تعالى « ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير » . ما من حادثة فى الكون إلا قد أرادها الله وقضاها

وقال تعالى « إن الله بالغ أمره ، قد جعل الله لكل شيء قدراً » واضحة الدلالة فى تقدير الله للأشياء وترتيبها بحكمته .

وقال تعالى : « إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر » تدفع كل شبهة فى عدم تأثير الوسائل وعدم تغيير ما أجل الله لعباده وقدره لهم . وقال تعالى : « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً » .

قد استأثر الله بغيبه وحجبه عن عباده ليجتهدوا ويستبقوا إلى ما كلفهم به ، وقال تعالى « وكل صغير وكبير مستطر » ما من جليل ولا دقيق إلا سبق لله فيه علم وقدر لا يتقدم عن وقته ولا يتأخر ولا يتخلف لوجود شيء من الأسباب او عدمه ولا يتغير وهذه قاعدة متفق عليها بين أهل السنة ، ولم يستثنوا منها إلا الدعاء فانهم قالوا إن الدعاء ينفع فيما نزل وفيما لم ينزل استناداً إلى قوله تعالى « وقال ربكم ادعونى أستجب لكم » وقوله تعالى « وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب » وان البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء فيتدافعان إلى يوم القيامة .

والدعاء ينفع فى القضاء المبرم والمعلق ، أما المعلق فلا استحالة فى رفع ما علق رفعه منه على الدعاء ، ولا فى نزول ما علق نزوله منه على الدعاء . وأما المبرم فالدعاء لا ينفعه لكن الله تعالى ينزل لطفه بالداعى وفى تلك الحالة يكون الدعاء بمنزلة السبب العادى المقدور لله تعالى كالغذاء للشبع ، كما إذا قضى الله تعالى قضاء مبرماً بأن ينزل على أحد صخرة ، فإذا دعا الله تعالى تداركه لطفه بأن تتفتت الصخرة مثلا كالرمل ثم تنزل عليه ويكون الدعاء مقدوراً لله تعالى لتحقيق هذا اللطف . وأما ما ورد فى بعض الأحاديث الصحيحة عن ابن عمر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال « لا عدوى ولا طيرة إنما الشؤم فى ثلاث فى الفرس والمرأة والدار » فقد حمل العلماء الثقاة شؤم الفرس على جموحه وشراسته وعدم الغزو عليه وشؤم المرأة على سوء خلقها وشؤم الدار على سوء جيرانها وضيقها . فانتفى ما يفهم ظاهراً من تأثير هذه الأمور الثلاثة فى الأفعال .

والمسلك الصحيح فى هذا الموضوع ان المكلف يجب عليه الأخذ بالأسباب المشروعة التى جعلها الله وسائل لإنتاج مسبباتها كالغذاء لبقاء الحياة والزواج لبقاء النسل والعلاج لدفع المرض والتحرز عن الوقوع فى المهلكات دون ان ينظر او يكلف نفسه عناء البحث فى سر القضاء والقدر وما قدره الله للانسان من سعادة او شقاء إذ ذلك مستور عنا ولا سبيل لنا إلى علمه والبحث فيه مضيعة للجهد ومزلة للعقول ولذلك نهى النبى ﷺ عن البحث فى سر القدر. وليس للمكلف ان يتواكل وإنما عليه ان يأخذ بالأسباب ويترك مسبباتها وآثارها لله تعالى.

وقد أرشدنا القرآن الكريم إلى ذلك حيث يقول « فإذا عزمت فتوكل على الله » اى إذا رأيت الصواب وصح فيه رأيك فامض فى عمله وتحقيقه متوكلا على الله دون تردد ولا تطير بسانح او بارح فإنما الغيب لله دون أحد من خلقه وقد نزل الله فى كتابه على رسوله وهو الأسوة الحسنة والقدوة الكريمة « قل ما كنت بدعاً من الرسل وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم ، إن أتبع إلا ما يوحى إلا نذير مبين ».

السؤال الثالث

ماهى أسماء وأصحاب الكتب الشرعية الدينية الاسلامية الصحيحة المعتمدة المفيدة السهلة التى يجوز اقتناؤها والعمل بها فى العقائد والعبادات والمعاملات وغيرها ؟

الجـــواب

من الكتب التى يتحقق فيها سهولة المأخذ وجزيل النفع والوفاء بالغرض المنشود :
رسالة التوحيد للأستاذ الامام الشيخ محمد عبده فى العقائد.
كتاب الفقه على المذاهب الأربعة لوزارة الأوقاف المصرية فى العبادات.
كتاب الفقه على المذاهب الأربعة للشيخ عبد الرحمن الجزيرى فى المعاملات.
والكتب القيمة النافعة كثيرة وافرة ولكنا أشرنا إلى أيسرها وأقربها منالا.

عبدالله المراغى

أعلام الإسلام

حمزة بن عبد المطلب

في ليلة من ليالي النصر والفرح الشامل أهل مكة وما حولها ، لنجاتهم من شر أبرهة وقومه أصحاب الفيل ، الذين جعل الله كيدهم في تضليل ، أقبل شيخ كبير قد جاوز السبعين ، في حماسة النصر ونشوة الفرح ، وهو عبدالمطلب بن هاشم على التزوج في ليلة عرس ابنه عبدالله ، فضاعف السرور ، وأكثر البشر .

ولم يلبث ان أنجب عبدالله محمداً ﷺ ، كما أنجب عبدالمطلب حمزة رضي الله عنه ، وشاء الله ان يرضع محمد بن عبدالله وحمزة بن عبدالمطلب لبان ثويبة جارية أبي لهب ، فكانا أخوين من الرضاع ، كما كان حمزة عماً للنبي ﷺ ، وشاء الله أيضاً ان يموت عبدالله والد محمد ، فيكفله عبدالمطلب والد حمزة ، فيربيه كما يربي ولده ، ولهذا لا نعجب إذا رأينا حمزة قبل إسلامه يعمل مع أخيه أبي طالب على تخفيف الويلات التي كانت تصيب النبي ﷺ من أعدائه ، فيواسيه ويؤازره ، ويقويه ويناصره ، ويوليه العطف والمحبة ، والوفاء والمودة ، وكان النبي ﷺ أيضاً من جانبه حفياً بعمه حمزة — الذي لم يكن أسلم بعد — .

وإذا تركنا هذا إلى الصفات التي شب عليها حمزة ، فاننا نجد أنفسنا أمام بطل عظيم ، لا يهاب الموت ، ولا يرهب الردى ، تعلوه الهيبة ، ويكسوه الوقار ، حتى ليعجز الناظر إليه ان يثبت نظره فيه ، كأنه أمام أسد كاسر ، أو سلطان قاهر ، وقد عرف أهل مكة ذلك من حمزة ، فكانوا يخافونه ويرهبونه ، ويبتعدون عن طريقه ، ولا يقتربون من عرينه ، وكان إذا شد قوسه ، أو استل سيفه ، مشى

الرعب فى أوصالهم ، ودب الخوف والفزع إلى نفوسهم ، والويل كل الويل لمن عاداه ، أو استباح حماه (كان يقابل الرجل من قريش فيصفعه فيصرعه ، فيقوم الرجل يستعطف ويسترحم) .

ويحكى المؤرخون فى سبب إسلامه ، ان أبا جهل مر بمحمد ﷺ يوماً فآذاه وشتمه ، ونال من النبي بعض ما يكره ، من العيب لدينه ، فأعرض الرسول عن أبي جهل وانصرف ، ولم يرد عليه بعض الذى قال ، متبعاً سياسة الصبر والاحتمال ، إذ كان صلوات الله وسلامه عليه ، لم يؤمر بالقتال بعد وكان المسلمون فى قلة وضعف ، يدعون الله أن ينصرهم بإسلام حمزة وإسلام عمر ، فاستجاب الله دعاءهم ، وأقبل حمزة من رحلة الصيد ، الذى كان مولعاً به ، وكان من عادته انه إذا عاد من صيده ، لا يدخل بيته ولا يلوى على شىء حتى يطوف بالكعبة تيمناً وتبركا ، وبينما هو فى طريقه إليها ، اعترضته جارية لعبدالله بن جدعان وأخبرته خبر عدوان أبي جهل على النبي ﷺ ، فانتفخت أوداج حمزة وملأه الغضب حتى ليكاد الدم ينبثق من عينيه ، وذهب إلى الكعبة متجهماً عابساً لا يسلم على من يقابله ، ولا يرد التحية على أحد ، على خلاف عادته فذهب الناس من حوله يتنبئون بشر مستطير ، وأخذ طريقه فى عنف حتى وصل إلى الكعبة ، حيث جلس أبو جهل ، يقص على الناس ما فعل بمحمد ، ولم يكد يتم حديثه حتى رفع حمزة قوسه ، فضربه بها ضربة شجت رأسه وأسالت دمه ، فقام بعض أصحابه إلى حمزة ، فمنعهم أبو جهل معترفاً بخطئه وذنبه ، فى ذم محمد وسبه ، واعتدائه عليه .

وهنا أعلن حمزة إسلامه ، وعاهد النبي ﷺ على نصرته ، والتضحية فى سبيل الله حتى النهاية .

وفى دار الأرقم بن أبي الأرقم ، فى السنة السادسة من البعثة ، جلس إلى الرسول ليستمع إلى كتاب الله والحكمة ، ويتعلم أمور الاسلام ، ويردد كلمة التوحيد ، ويتلقى عقائد الإيمان .

وما كادت بشاشة الإيمان تخالط قلبه ، حتى قال للنبي ﷺ « أظهر دينك » وألح عليه فى ذلك .

وإذا عمر بن الخطاب يدخل عليهم الدار ويعلن إسلامه ، وينضم إلى حمزة فى طلبه ، فيؤيده ويوافقه على الجهر بالدعوة ، وإذا الوحى ينزل آمراً بالجهر ، فصدع الرسول بأمر الله ، وأخذ يدعو علانية إلى توحيد الله ، مبلغاً ما أنزل إليه من ربه ، ولما رأت قريش إسلام حمزة وعمر ، خففت من حدتها ، وهنا أخذت العزة الإسلامية ترفرف على النبي وصحبه ، فقد أقام المسلمون صلاتهم عند الكعبة ، وكلهم عزة وإباء ، وشجاعة ومضاء ، وغاظ ذلك قريشاً ، فعمدت إلى سلاح المقاطعة والمنابذة ، وكتبوا بذلك صحيفة علقوها على الكعبة ، أن لايعاملوا بنى هاشم وبنى عبدالمطلب حتى يتخلوا عن مناصرة محمد ، فصبر حمزة ومن معه من بنى عبدالمطلب وبنى هاشم ، وصدقوا فيما عاهدوا محمدا عليه ، ومكثوا فى شعب أبى طالب ثلاث سنوات ، حتى أكلوا ورق الشجر من شدة الجوع .

وشاءالله ان تفشل هذه المؤامرة ، فأخذ المشركون يديرون الرأى ، ويدبرون الحيلة ليقتلوه .

فكانت الهجرة وهاجر حمزة فى سعة من العيش ، وبسطة من الرزق ، ولما أذن الله لرسوله بالقتال ، سير عمه حمزة بن عبدالمطلب بعد مضى ثمانية أشهر من الهجرة ، ومعه ثلاثون فارساً ، إلى شاطئ البحر الأحمر بأرض جهينة حيث لقى أبا جهل بن هشام فى ثلاثمائة من أهل مكة ، وكاد حمزة مع الثلاثين ، يسحق أبا جهل فى جيشه اللجب ، لولا موادعة مجدى بن عمرو وقيامه بالصلح الذى تم بين الطرفين .

وبهذا يعتبر حمزة بن عبد المطلب أول من قاد الجيش فى الإسلام ، وأول من عقد له النبي لواء الحرب ، وقد لقبه الرسول ﷺ « أسد الله » وكان يقال له أيضاً « أسد رسول الله » ويسميه المؤرخون

« بطل بدر » لأنه قام فيها بما لم يقم به غيره من أعمال البطولة ، وأول صراع فى هذه الغزوة بدأه حمزة حين اندفع الأسود بن الأسود من صفوف قريش إلى صفوف المسلمين ، يريد أن يهدم الحوض الذى بنوا ، فعاجله حمزة بضربة بترت ساقه ، ثم أتبعها بأخرى فقضى عليه ، وكانت تلك هى الشرارة الأولى فاندفع الطرفان يلتحمان ، وأخذ الجمعان يلتقيان ، فقتل حمزة فيمن قتل : شيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة ، ولما حمى الوطيس حمل على قريش حملة صادقة وهو يقول « أحد أحد » بأعلى صوته ، وأخذ حسام حمزة يطيح الرءوس عن أجسادها ، تؤيده قدرة الله .

ولما انتهت غزوة بدر سأل أمية بن خلف وكان ممن أسر يومئذ فقال : من هو الرجل الذى كان فى صفوفكم ، وهو معلم بريشة نعامة فى صدره ؟ فقال له عبدالرحمن بن عوف « ذاك حمزة بن عبدالمطلب » فقال أمية « ذاك الذى فعل بنا الأفاعيل » .

وفى غزوة أحد انطلق حمزة كالسهم من الرمية إلى جيش المشركين ، فانطلق المسلمون وراءه حتى قاربوا النصر ، ولكن طرأ ما غير الموقف فلم يفر ، وثبت مع النبى ﷺ والأخطار تحدق به فى شجاعة وعدم مبالاة ، فقتل من المشركين ما يزيد على ثلاثين ، وأبى الله إلا أن يجعل حمزة سيد الشهداء فقد كمن له وحشى بن حرب ، وباغته بضربة فقتله ، وكان وحشى عبداً رقيقاً قال له سيده « جبير بن مطعم » ان قتلت حمزة فأنت حر عتيق ، وجعلت له هند بنت عتبة جائزة كبيرة ان هو فعل ، لأن حمزة قتل أباها وعمها يوم بدر ، ولما علم الرسول بمقتل عمه حمزة ، أقبل حتى وقف عند جثمانه وقال : « رحمك الله أى عم ، فلقد كنت وصولا للرحم ، فعولا للخير ، لن أصاب بمثلك أبدا » .

وهكذا استشهد حمزة أسد الله ، وعم رسول الله ، بعد بضع وخمسين سنة قضاها بطلا مجاهداً مناضلا ، فرحمة الله عليه فى الأبطال الخالدين ، ورضى الله عنه فى أعلام الاسلام المجاهدين .

عبد الله المراغى

مكتوف ورجل مقتول . فقيل له : هذا ابن أخيك قتل ابنك . فوالله ما حل حبوته ولا قطع كلامه . ثم التفت إلى ابن أخيه وقال له : يابن أخى أثمت بربك ورميت نفسك بسهمك وقتلت ابن عمك . ثم قال لابن له آخر : قم يابنى فوار أخاك وحل كتاف ابن عمك وسق إلى أمه مائة ناقة دية ابنها فانها غريبة .

الرجل الحازم

قال ابن المقفع :

كان لى أخ أعظم الناس فى عينى وكان رأس ما عظمه فى عينى صغر الدنيا فى عينه . كان خارجا من سلطان بطنه فلا يشتهى مالا يجد . ولا يكثر اذا وجد وكان خارجا من سلطان فرجه . فلا يدعو اليه مؤنة ولا يستخف له رأيا ولا بدنا وكان لا يتأثر عند نعمة ولا يستكين عند مصيبة . وكان خارجا من سلطان لسانه . فلا يتكلم بما لا يعلم . ولا يمارى فيما علم . وكان خارجا من سلطان الجهالة . فلا يتقدم ابدا الا على ثقة بنفسه . وكان أكثر دهره صامتا . فاذا قال بزّ (١) القائلين وكان ضعيفا مستضعفا . فاذا جد الجد فهو الليث عاديا . وكان لايدخل فى دعوى ولايشارك فى مراء (٢) ولا يدلى بحجة حتى يرى قاضيا فهما ، وشهودا عدولا وكان لايلوم أحدا فيما يكون العذر فى مثله حتى يعلم ماعذره . وكان لا يشكو وجعه الا عند من يرجو عنده البرء . ولا يستشير صاحبا الا ان يرجو منه النصيحة وكان لايتبرم (٣) ولا يتسخط ولا يتشكى ولا يتشهى ولا ينتقم من العدو ولا يغفل عن الولى ولا يخص نفسه بشىء دون اخوانه من اهتمامه وحياته وقوته . فعليك بهذه الاخلاق ان اطقتها ولن تطيق . ولكن اخذ القليل خير من ترك الجميع .

ع . ع . س
بقسم المساجد

---

(١) غلب . (٢) الجدال . (٣) يتضجر

اعجـــاز القرآن

لا شبهة فى أن المصطفى ﷺ تحدى العرب بالقرآن ، ولم يعارض ، وأن ذلك متواتر ، وآيات التحدى كثيرة ، مثل قوله « فأتوا بسورة من مثله » وقوله « فأتوا بعشر سور مثله مفتريات » وقوله « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله » .

وأما أنه لم يعارض فلأنه لو عورض لتواتر ، لتوافر الدواعى على نقله ، لأنه كان ﷺ يقرعهم أشد التقريع ، ويوبخهم غاية التوبيخ ، ويسفه أحلامهم ، ويذم آلهتهم ، وهم فى كل هذا ناكصون عن معارضته ، محجمون عن مخاتلته ، يخادعون أنفسهم بالتشغيب بالتكذيب ، والاغراء بالافتراء ، وقولهم إن هذا إلا سحر يؤثر ، وسحر مستمر ، وإفك افتراه ، وأساطير الأولين ، والمباهتة ، والرضا بالدنيئة كقولهم . قلوبنا غلف ، وفى أكنة مما تدعونا إليه ، وفى آذاننا وقر ، ومن بيننا وبينك حجاب ، ولا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ، والادعاء مع العجز بقولهم ، لو نشاء لقلنا مثل هذا ، وقد قال الله لهم ولن تفعلوا ، فما فعلوا وما قدروا ، ومن تعاطى ذلك من سخفائهم كمسيلمة كشف الله عوراه لجميعهم ، وسلبهم ما ألفوه من فصيح كلامهم ، وإلا فلم يخف على أهل الميز منهم أنه ليس من نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم ، بل ولوا عنه مدبرين ، وأتوا مذعنين ، من بين مهتد وبين مفتون ، ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة من النبي ﷺ

« إن الله يأمر بالعدل والاحسان ... الخ الآية » قال : والله إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أسفله لمغدق ، وإن أعلاه لمثمر ، ما يقول هذا بشر - وذكر أبو عبيد أن أعرابياً سمع رجلا يقرأ « فاصدع بما تؤمر » فسجد وقال : سجدت لفصاحته - وسمع آخر رجلا يقرأ « فلما استيئسوا منه خلصوا نجيا » فقال : أشهد أن مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام - وحكى الأصمعى أنه سمع كلام جارية ، فقال لها : قاتلك الله ما أفصحك !! فقالت : أو يعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى « وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه ، فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم ، ولا تخافى ، ولا تحزنى ، إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين » فجمع فى آية واحدة بين أمرين ونهيين ، وخبرين ، وبشارتين ، الخ ما قاله رضى الله عنه .

وجوه الاعجـــــاز

أما وجوه إعجازه فكثيرة ، اختلف الناس فيها على مذاهب :

فقيل : هو ما اشتمل عليه من النظم الغريب ، والأسلوب العجيب ، المخالف لنظم العرب ونثرهم فى مطالعه ومقاطعه وفواصله ، أى أواخر الآية التى هى بمنزلة الاسجاع فى كلامهم ، فان الأمور المذكورة وقعت فى القرآن على وجه لم يعهد فى كلامهم وكانوا عاجزين عنه .

وقيل : ان وجه إعجازه كونه فى الدرجة العالية من البلاغة التى لم يعهد مثلها ، لأن من تتبع القرآن وجد فيه فنون البلاغة بأسرها ، من إفادة المعانى الكثيرة باللفظ القليل ، ومن ضروب التأكيد وأنواع التشبيه والتمثيل والاستعارة والتقديم والتأخير والفصل والوصل اللائق بالمقام ، وخلوه عن اللفظ الركيك والشاذ الخارج عن القياس ، إلى غير ذلك من أنواع البلاغة .

ويرى بعضهم : ان وجه الاعجاز بمجموع الأمرين المتقدمين أى النظم الغريب ، وكونه فى الدرجة العليا من البلاغة .

وقيل : وجه إعجازه أخباره عن الغيب نحو « وهم من بعد غلبهم سيغلبون » ونحو « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض » وذلك كثير يعرف بتتبع القرآن .

وقال بعضهم : إنى وإن كنت أعتقد ان القرآن قد بلغ الغاية من هذه الوجهة إلا أنى أرى أنها ليست هى الجهة الوحيدة لاعجازه ، بل وليست أكثر جهات إعجازه سلطاناً على النفس ، فان للبلاغة على الشعور الانسانى تسلطاً محدوداً لا يتعدى حد الاعجاب بالكلام والاقبال عليه ، ثم يأخذ هذا الاعجاب والاقبال فى الضعف شيئاً فشيئاً بتكرار سماعه حتى تستأنس به النفس فلا يعود يحدث فيها ما كان يحدثه فى مبدأ توارده عليها ، وليس هذا شأن القرآن ، فانه قد ثبت ان تكرار تلاوته تزيده تأثيراً وسلطاناً على النفس والمدارك ، ولهذا أميل إلى ان وجه الاعجاز — أنه روح من أمر الله تعالى — « وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان » فهو يؤثر بهذا الاعتبار تأثير الروح فى الأجساد فيحركها ويتسلط على أهوائها ، وأما تأثير الكلام فى الشعور فلا يتعدى سلطانه حد إطرابها والحصول على إعجابها ، فقوله تعالى « وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا » يكفى وحده فى إرشادنا إلى جهة إعجاز القرآن وقصور الجن والانس عن الإتيان بمثله ، وبقائه إلى اليوم معجزة خالدة تتلألأ فى نورها الالهى ، وتتألق فى جمالها القدسى ، فالقرآن روح من أمر الله ، له روحانية خاصة هى جهة إعجازه والسبب الأكبر فى انقطاع الانس والجن عن محاكاة أقصر سورة من سوره ، وارتعاد فرائص الصناديد والجبابرة عند سماعه ، وناهيك بروحانية الكلام الالهى - نعم جهة إعجاز هذا الكتاب الالهى الأقدس هى تلك الروحانية العالية التى قلبت شكل العالم ، وأكسبت تلك الطائفة القليلة العدد خلافة الله فى أرضه ، وأرغمت لهم معاطس الجبابرة والقساورة ، ووطأت لهم عروش الأكاسرة والقياصرة حتى صاروا ملوك الملوك ، وإخوان الملائكة فى مدة لا يصعب عدد سنيها على الأصابع (يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده)-

لا جدال فى ان القرآن فصيح قد أخرس بفصاحته فرسان البلاغة وقادة الخطابة وسادات القوافى وملوك البيان ، وهو حكيم بهر سماسرة الحكمة والفلسفة ، وأدهش أساطين القانون والشريعة ، وهو حق ألزم كل مجادل الحجة ، ودل كل باحث على المحجة ، ولم يغادر كبيرة ولا صغيرة إلا أحصاها ، وهو هدى ورحمة ونور وشفاء لما فى الصدور . كل هذه صفات جليلة تؤثر على العقل والشعور والعواطف والميول فتتحكم فيها تحكم الملك فى ملكه ، ولكنه فوق ذلك كله « روح من أمر الله » تصل من روح الإنسان إلى حيث لا تصل إليه أشعة البلاغة والبيان . هذه الروحانية تنفذ إلى سر سريرة الانسان ، وسويداء ضميره ، وتستولى منها على أصل حياته ، ومهب عواطفه وإحساساته ، وتخلقه خلقاً جديداً ، وتصوره بصورة لا يتخيلها ، ولو قيلت له لما أدركها . ان للقرآن فوق البلاغة والعذوبة والحكمة والبيان روحانية يدركها من لاحظ له فى فهم الكلام وتقدير الحكمة وإدراك البلاغة . ألا ترى أن الطفل والعامى كيف يعتريهما تهيب عند تلاوته ولو بغير صوت حسن حتى إنهما ليكادان يفرقان بين ما هو قرآن وما ليس بقرآن فيما لو أراد التالى أن يغشهما . هذه الروحانية تظهر ظهوراً جلياً عند ما تكون آية من آياته جاءت على سبيل الاستشهاد والاقتباس فى صفحة كبيرة ، فإنك ترى تلك الآية تتجلى لك من بين السطور ، وخلال التراكيب كأنها الشمس فى رابعة النهار مهما كانت تلك الصفحة من البيان ومنزلتها من جمال الأسلوب وجزالة الألفاظ .

وهذا الرأى فى جهة إعجاز القرآن يحل مشاكل هذا البحث ، ويمكن الاستدلال عليه بالحس والواقع ، ويؤيده ماورد من أن الكفار رموا النبى ﷺ ، ان ما أتاهم به هو من قبيل الشعر ، وقد أنكر القرآن عليهم ذلك فقال « وما علمناه الشعر وما ينبغى له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين » ، وقال « وما هو بقول شاعر » فأما ان القرآن مغاير لما تواضع عليه العرب على تسميته شعراً فهذا ما لا شك

فيه ، ولـكن من المحتمل أنهم رأوا لهذا القرآن تأثيراً سحرياً يشبه ما كان يبعثه فيهم سماع أشعارهم . وأنهم رأوا له جرساً موسيقياً هو فى الذوق من خصائص الشعر ، لأنه لو اعتقدوه حقيقة شعراً ، ولم يروه خارجاً عن أساليبهم فى الشعر ، لبادروا إلى معارضته ، لأن الشعر مسخر لهم ، مسهل عليهم ، لهم فيه تصرف عجيب ، واقتدار لطيف . أما ماولع به الناس من ان القرآن معجز لبلاغته وتجاوزه حدود الامكان حتى وقف ذلك الاعجاز ببلاغته دون وجوه إعجازه الأخرى فلم نقف له على أثر فى ذات القرآن مع أنه قد ورد ذكر القرآن فى القرآن فى آيات عدة ولم ير فى واحدة منها ما يوافق ما يذهب إليه الآن الكثيرون . فقد وصف الله كتابه فى كتابه فقال « ولقد أنزلنا إليك آيات بينات » ، « هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين » ، (وأنزلنا إليك الكتاب بالحق) ، (وبالحق أنزلناه وبالحق نزل) ، (ولقد جاءكم بصائر من ربكم) ، (ولقد جئناكم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون) ، (إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم) (وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم) ، (أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك) ، (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا) .

وصف الله كتابه الكريم فى هذه الآيات الكريمة بأوصاف كثيرة ، وليس من بينها واحد يشير إلى بلاغته اللفظية ، ذلك لأن البلاغة من الصفات الثانوية التى لا يصح أن يتمدح الله بها فى كتابه ، ولو كانت البلاغة فى أساس تحديه للكفار بالاتيان بسورة من سوره أما كان يشير إلى تلك البلاغة ولو فى آية واحدة ، وقد أتى بعشرات منها فى التنويه بحكمته وروحانيته ، أليس فى هذه إشارة إلى ان وجه إعجازه غير البلاغة اللفظية ؟

وقيل ان مجموع ما ذكر وجه إعجاز القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . وان إعجازه دليل واضح على أنه من عند الله ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا .

المبهمات فى القرآن

ولا يفوتنى هنا ان أتكلم عن المبهمات وهى الآيات ذوات الحاجة إلى إيضاح وهى نوعان :

(١) نوع فسره القرآن فى غير موضعه كقوله تعالى (وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا) فقد فسره بقوله (وإذا بشر أحدهم بالأنثى) وكقوله (أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا مايتلى عليكم) فانه مفسر بقوله (حرمت عليكم الميتة).

(٢) ونوع ترك تفسيره لأسباب ظاهرة منها : اشتهاره نحو (اسكن أنت وزوجك الجنة) فمعروف أنها حواء ، ومنها التستر عليه نحو (ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام) فقد نزلت فى الأخنس بن شريق ولم يذكر الله اسمه تستراً عليه لأنهُ علم أنه سيسلم ويحسن إسلامه ، ومنها تعظيمه بذكر الوصف دون الاسم كما فى قوله (والذى جاء بالصدق وصدق به) يقصد النبى وأبا بكر .

المتشابهات

وأما المتشابهات فهى ما استأثر الله تعالى بعلمها إذ ليس فى قدرة العقول الوصول إلى حقائقها ولعل لا شىء منها فى القرآن إلا الحروف المبدوء بها بعض السور ، وعددها أربعة عشر يجمعها قولك « قرع سمعك النصيحة » ونذكر هنا للتفكهة بعض آراء كبار المستشرقين فى معانى أوائل هذه السور - فبعضهم يرى ان هذه الأحرف كل مفتتح سورة منها طرة أو مختصر من اسم من أسماء الرجال الذين أخذ عنهم زيد بن ثابت وأصحابه السور التى كتبوها وجمعوها ، وكونوا منها المصحف فى عهد عثمان ، فمثلا « الر » طرة الزبير ، و « المر » طرة المغيرة ، و « طه » طرة طلحة ، وهذا الرأى ظاهر الفساد ، لأن هؤلاء الرجال جمعوا القرآن فى عهد عثمان ، وكان القرآن قد نزل وختم نزوله قبل ان يفكر هؤلاء فى جمعه .

وبعضهم يقول : من المحتمل ان تكون هذه الأحرف عناوين وضعت على الصناديق التى كانت فيها قطع الأديم والعسب والرقاع التى كان القرآن مكتوباً عليها لأول مرة .

وبعضهم يقول : من المحتمل ان يكون معنى « ن » إشارة للحرف الذى به تنتهى سجعات هذه السورة . وهناك رأى لا بأس من إيراده ، هو قول من يقولون إنها حروف ذكرت سرداً ، إعلاما للعرب ومن بعدهم ، بتركيب القرآن — الذى أعجزهم — من هذه الحروف المعروفة لهم ، ولذلك كثر ذكر الكتاب بعد هذه المبادىء ، ثم يذكرون فى سبب المخالفة بينها شيئاً يهدى إليه الاستقراء ، هو دوران الحروف التى بدأت بها سورة ما فى كلماتها بنسبة ليست لغيرها فى تلك السورة ، ولا لها نفسها فى سورة لم تبدأ بها . وهناك رأى يخالف كل ما ذكر وهو قول من يقولون : ان الحكمة الحقة فى وجودها لا تعدو اختبار العباد فى درجات الايمان ، فان لم ترسخ عقائدهم يقفوا عندها موقف الزيغ والالحاد ، كما ذكر الله تعالى ذلك صريحاً بقوله « هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله ، والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب » هذا ما قيل عن المتشابهات ، على ان الوصول إلى معانيها ينافى الحكمة فى وجودها ، والصواب ان علمها الحق عند الله وحده علام الغيوب .

نزول القرآن

نزل القرآن فى ليلة القدر وهى التى قال الله فيها « إنا أنزلناه فى ليلة القدر » ، وقال فيها أيضا « إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا منذرين » .

ولا نزاع فى أن هذه الليلة كانت فى شهر رمضان . قبل فرض صومه لأنه فرض بالمدينة ، قال تعالى « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن » .

أما نفس الليلة التى نزل فيها القرآن ففى تعيينها خلاف كثير، فمن قائل ، إنها ليلة إحدى وعشرين ، ومن قائل إنها ليـــلة سبع وعشرين ، ومن قائل أنها فى العشر الآواخر . وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « رأيت ليلة القدر ثم أيقظنى بعض أهلى فنسيتها فالتمسوها فى العشر الأواخر من رمضان » رواه مسلم .

واختلف فى معنى إنزال القرآن فيها على أربعة أقوال : أرجحها أن الله تعالى أنزل جبريل به فيها من اللوح المحفوظ جملة واحدة على الترتيب الذى نقرؤه ، كما هو فيه ، فحفظه منه ، وأتى به إلى سماء الدنيا فأملاه على ملائكتها السفرة الكتبة فكتبوه كله فى صحف ، وكانت تلك الصحف فى محل من تلك السماء ، وهو معنى قوله تعالى « فى صحف مكرمة ، مرفوعة مطهرة ، بأيدى سفرة ، كرام بررة » ثم نزل به على النبى ﷺ وألقاه عليه إلقاء روحياً ، أو تمثل له رجلا وألقاه عليه منجما أى مفــرقاً كما نجمته الملائكة المذكورون على جبريل بحسب الوقائع والحاجات ، فجبريل أملى السفرة ابتداء وتلقى عنها انتهاء ، وقد روى أن الحارث ابن هشام رضى الله عنه سأل رسول الله ﷺ فقال يارسول الله كيف يأتيك الوحى ، فقال رسول الله ﷺ « أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فيفصم عنى وقد وعيت عنه ما قال ، وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعى ما يقول » قالت عائشة رضى الله عنها « ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا ، فكان النبى ﷺ يتلقى ما ينزل عليه من القرآن من لدن ربه برسالة جبريل عليه السلام فيحفظه ويعيه ، ثم يبلغه بنصه ولفظه أصحابه رضى الله عنهم فيعونه ويحفظونه ويعلمونه غيرهم — وكان منهم من يكتب باملائه ﷺ وهم كتبة الوحى . وأصحاب هذا الرأى يعللون

إنزال القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا بأن فى ذلك تعجيلا لمسرته ﷺ ، وتكريماً لبنى آدم ، وتعظيما لشأنهم عند الملائكة ، ويعللون تنجيمه من سماء الدنيا بأن فى ذلك تأنيساً للقلوب وترويحاً للنفوس، وتلطفاً به ﷺ وبأمته وليحفظه ، وقيل غير ذلك ، وقد تولى الله سبحانه وتعالى الإجابة عن سبب التنجيم فقال « وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة » يقصدون كما أنزلت الكتب على من قبله من الرسل ، فأجابهم الله تعالى بقوله « كذلك » أى أنزلناه كذلك مفرقاً لنثبت به فؤادك أى لنقوى به قلبك ، فان الوحى إذا كان متجدداً فى كل حادثة كان أقوى بالقلب وأشد عناية بالمرسل اليه ، ويترتب على ذلك كثرة نزول الملك اليه وتجدد العهد به وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجناب العزيز ، فيحدث له من السرور ما تقصر عنه العبارة ، وقيل معنى « لنثبت به فؤادك » أى لنحفظه فإنه كان عليه الصلاة والسلام أميا لا يقرأ ولا يكتب ففرق عليه ليثبت عنده حفظه بخلاف غيره من الأنبياء فإنه كان كاتبا قارئا فيمكنه حفظ الجميع .

والقول الثانى أنه نزل الى سماء الدنيا فى عشرين ليلة قدر من عشرين سنة ، وقيل فى ثلاث وعشرين ليلة قدر من ثلاث وعشرين سنة ، وقيل فى خمس وعشرين ليلة قدر من خمس وعشرين سنة ، نزل فى كل ليلة قدر ما قدر إنزاله فى كل سنة ، ثم ينزل بعد ذلك منجما فى جميع السنة على سيدنا محمد ﷺ .

والقول الثالث ، أنه ابتدأ نزوله على النبى ﷺ فى ليلة القدر ثم نزل بعد منجما فى أوقات مختلفة من سائر الأوقات .

والقول الرابع أنه أنزل فى ليلة القدر ، أى أنزل فى بيان فضلها وشرفها من كونها خيراً من ألف شهر . والقول الأول أكثر وأشهر وأصح .

(يتبع) ع . ا . ع

أبو نصر الفارابى

أبو نصر الفارابى هو الذى سماه العرب المعلم الثانى ، لأن منزلته من الفلسفة الإسلامية كمنزلة أرسطو المعلم الأول من الفلسفة اليونانية . وهذه تسمية صادفت موضعها ، لأن الفارابى كان مفتونا بفلسفة أرسطو ، فشرح غوامضها ، وقربها إلى الأذهان ، وأفنى عمره فى حل طلاسمها ، ويقال إنه وجد كتاب النفس لأرسطو وعليه بخط الفارابى : إنى قرأت هذا الكتاب مائة مرة . ونقل عنه أنه كان يقول : قرأت السماع الطبيعى لأرسطو الحكيم أربعين مرة ، وأرى أننى محتاج لقراءته . ويحكى عنه أنه سئل من أعلم بهذا الشأن أنت أم أرسطو؟ فقال لو أدركته لكنت أكبر تلامذته .

ولسنا ننكر أن فلسفة أرسطو عسيرة الفهم ، عويصة الحل ، ولا يزال المحدثون يشقون فى حل طلاسمها لشدة عمقها ، حتى قيض الله لها الفارابى فذللها للعرب ، ومن الشواهد على ذلك أن « ابن سينا » وهو من أعظم فلاسفة العرب ، وقع له كتاب مابعد الطبيعة لأرسطو وقرأه وقرأه حتى أصبح محفوظا له عن ظهر قلب دون أن يفهم من معانيه شيئا إلى أن كان يوما فى سوق الوراقين ، فاشترى كتاب أغراض مابعد الطبيعة لأبى نصر الفارابى ، وقرأه ، فانفتحت له مغاليق كتاب مابعد الطبيعة لأرسطو الذى كان يحفظه عن ظهر قلب ، وفرح لذلك ابن سينا فرحا شديدا وتصدق على الفقراء ، فهذه شهادة الشيخ الرئيس لأبى نصر الفارابى تغنى عن كل شهادة ، وتؤيد ما أجمع عليه الناس من ارتفاع منزلة الفارابى وعظيم أثره .

ولقد كان الفارابي فيلسوفا على الحقيقة ، علما وعملا ، قد امتزجت الفلسفة بدمه فاصطبغت بها سيرته ، فكان أشبه شيء بسقراط شيخ الفلاسفة الذى دعا إلى حياة روحية ، وسار سيرة الزهد والابتعاد عن الدنيا ، ليضرب بذلك المثل للناس لما ينبغى أن يكون عليه الفيلسوف الحق . والفارابي فى ذلك على نقيض ابن سينا الذى طلب الوزارة وأقبل على الدنيا ، وعاش فى بذخ ونعيم . أما الفارابي فقد قدم على سيف الدولة الحمدانى بزى أهل التصوف ، فأكرمه سيف الدولة إكراما عظيما ، وعرف منزلته من الفهم ، ولم يكن يتناول من سيف الدولة من جملة ماينعم به عليه سوى أربعة دراهم فى اليوم فكان ينفقها فيما يحتاج من ضرورة عيشه ، ولم يكن يعتنى بملبسه ومنزله ولا مكتبه ، ويذكر انه كان يتغذى بماء قلوب الحملان مع الخمر الريحانى فقط ، ويرى الانفراد على شرب الخمر ، ولايحب المنادمة عليه ، وهو فى ذلك يشبه ابن سينا الذى كان يعمل بالنهار ، فاذا جاء الليل حضر المغنون على اختلاف طبقاتهم ، وهيئ مجلس الشراب . وفى ذلك يقول الفارابي من شعره :

بزجاجتين قطعت عمرى وعليهما عولت أمرى
فزجاجة ملئت بحبر وزجاجة ملئت بخمر
فبذى أدون حكمتى وبذى أزيل هموم صدرى

وفى الحق لقد انقطع الفارابي إلى شتى العلوم فدونها ، وأخذ عن أرسطو وعن أفلاطون ، ووفق بينهما على شدة ما بين الفيلسوفين من خلاف ، وله فى ذلك كتاب «الجمع ما بين رأيي الحكيمين » والذى نراه هو أن الفارابي أخذ عن أرسطو آراءه فى العلوم الطبيعية وما بعد الطبيعة ، والمنطق بوجه خاص ، وأخذ عن أفلاطون الالهيات والزهد وشيئا آخر لم يفطن إليه الذين أرخوا للفارابي: هو النزعة إلى الفن والموسيقى ، ولقد كان الفارابي فنانا يهوى المناظر الجميلة ، وكان مدة

إقامته فى دمشق لا يكون غائبا الا عند مجتمع ماء أو مشتبك رياض ، ويؤلف هناك كتبه . ولم تكن معرفته بالموسيقى معرفة نظرية فحسب ، بل كان يعزف آلاتها . وتروى كتب التاريخ حكايته المشهورة حيث دخل على قوم فى مجلس سماع وكان بزى الفقراء ، فاحتقروا شأنه ، فأراد أن يبين لهم منزلته فى هذا الفن فأخرج آلة موسيقية ، وعزف عليها ضربا فرقصوا ، وأصلح الآلة وعزف ضربا آخر ، فبكوا ، ثم أصلحها مرة أخرى وعزف ضربا آخر فناموا ، وتركهم وانصرف .

وقد تأثر الفارابى خطى افلاطون ، فألف كتابه المشهور «آراء أهل المدينة الفاضلة » على نسق جمهورية أفلاطون ، وهما يلتقيان فى الغرض الذى سعى إليه كل منهما ، فأفلاطون لايرى الحكم الصالح إلا للفلاسفة ، وكذلك شأن الفارابى .

إلا أن الفارابى لم يكن نسخة متكررة عن أفلاطون وأرسطو ، بل ابتدع فى الفلسفة أشياء جديدة سبق بها أهل اوربا ، بل عنه أخذوا هذه الآراء ، مثال ذلك كتاب «إحصاء العلوم» وترجم هذا الكتاب إلى اللغة اللاتينية ، وتداوله العلماء والفلاسفة فى اوربا ، قسم فيه العلوم ستة أقسام ، وهى علوم اللغة ، وعلم المنطق ، وعلم الرياضة ، والعلوم الطبيعية ، والعلوم السياسية ، ثم علم ماوراء الطبيعة . فأحاط بذلك بجميع المعارف البشرية ، وصنفها ورتبها وبوبها . ولم يخرج ما فعله بيكون وأوجست كنت وهربرت سبنسر فى تقسيمهم للعلوم عن هذا .

ومن الطبيعى أن ينظر الفارابى ، وهو المشتغل بالزهد والتصوف إلى البحث فى الله والانسان والعالم ، وفى علاقة الله بكل منهما ، فاهتدى إلى وجود الله ، وانه واجب الوجود ، أو كما يقول فى دعائه المأثور عنه ، والذى يحدد فيه صفات الذات الالهية قائلا : اللهم إنى أسألك يا واجب الوجود ، وياعلة

العلل ، ياقديما لم يزل ، أن تعصمنى من الزلل ، وأن تجعل لى من الأمل ماترضاه لى من عمل .

الله واجب الوجود وعلة العلل ، وعنه صدرت جميع الأشياء ، لأنه أول المبدعات ، أما الانسان فهو المركب من عنصرين : النفس والبدن ، فالنفس إلهية روحانية ، والبدن أرضى شهوانى ، وهو علة الشرور . ويختلف الفارابى عن أفلاطون فى النظر الى النفس ، فهو ينكر عليه أن تكون موجودة قبل وجود البدن ، وينكر التناسخ كذلك ، وفى ذلك يقول فى رسالة له بعنوان « الروح والجسد » مانصه : « ولا يجوز وجود النفس قبل البدن كما يقول أفلاطون ، ولا انتقال النفس من بدن الى بدن كما يقول التناسخيون » . وهذا الرأى أقرب الى الاسلام ، ولذلك لم يطعن المسلمون على الفارابى من هذه الناحية ، وكان ابن سينا هدفا لسهام النقد ، ذلك أن ابن سينا يعتقد ، كما ذهب إلى ذلك افلاطون ، أن النفس كانت موجودة قبل وجود البدن ثم اتصلت به ، ولذلك يقول فى قصيدته المشهورة :

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تدلل وتمنع

وكان الفارابى أقرب إلى روح الاسلام ، يعتقد فى قضاء الله وقدره ، وفى ذلك يقول « وعناية الله تعالى محيطة بجميع الأشياء ، ومتصلة بكل آحد ، وكل كائن فبقضائه وقدره ، والشرور أيضا بقضائه وقدره ، لأن الشرور على سبيل التبع من الأشياء التى لابد لها من الشر » وتفسير الشر فى العالم هو عقدة العقد ، وكثيرا ماضل المفكرون ، ولكن الحل الذى يذهب إليه الفارابى معقول ومقبول ، فهو يرى أن الشر فى ذاته ليس بشر ، وإنما هو نسبى ، ولو لم توجد الشرور لم تكن الخيرات . هذا شبيه بقول كثير من الفلاسفة المحدثين مثل ليبنتز وغيره ، وهو أقرب التفسيرات إلى روح العلم الحديث ، الذى يؤمن بنظرية النسبية . فكان الفارابى أسبق من « اينشتين » بألف عام .

ويبدو أن الفارابي لم يرتح إلى عشرة الناس، ولقى منهم كل شر وسوء، ولذلك آثر العزلة والابتعاد عن الناس، وكان يلتمس الصداقة فى الكتب، فالكتاب صديق لا يمل، وفى التفكير لأنه السبيل إلى معرفة الحق، وقد وصف الزمان والناس وما فيهم من شرور فقال فى بعض شعره:

لما رأيت الزمان نكسا وليس بالصحبة انتفاع
كل رئيس به ملال وكل رأس به صداع
لزمت بيتى وصنت عرضا به من العزة اقتناع
أشرب مما اقتنيت راحا لها على راحتى شعاع
لى من قواريرها ندامى ومن قراقيرها سماع
واجتني من حديث قوم قد أقفرت منهمو البقاع

فلما آثر الفارابي الابتعاد عن الناس، ركن إلى الله تعالى، والتمس منه العون، فكان يقول فى ختام دعائه الذى نقلنا لك استهلاله «اللهم أر نفسى صور الغيوب الصالحة فى منامها، وبدلها من الاضغاث برؤيا الخيرات، والبشرى الصادقة فى أحلامها، وطهرها من الأوساخ التى تأثرت بها عن محسوساتها وأوهامها، وأمط عنها كدر الطبيعة، وأنزلها المنزلة الرفيعة، الله الذى هدانى وكفانى آمين».

دكتور احمد فؤاد الاهوانى

أستاذ الفلسفة بكلية الآداب
جامعة فؤاد

مدى الاستقلال في التشريع الاسلامى

يقول المغرضون ان هناك شبهاً بين الشريعتين الاسلاميه والرومانية فى بعض الأحكام مما دعاهم إلى القول بأن الشريعة الاسلامية مأخوذة عن الشريعة الرومانية، بل ان بعض العلماء الأجانب وهم من الذين لم يدرسوا الشريعة الاسلامية إلا دراسة سطحية ولم يتعمقوا فيها ولم يعيشوا فى جوها حتى يتعرفوا كنهها ويتوصلوا إلى أصلها، نقول ان ذلك دعا أحدهم وهو آيموس ان يكتب فى أحد مؤلفاته عن الشريعة المحمدية فى جزم وتوكيد « ان الشرع المحمدى ليس إلا القانون الرومانى للامبراطورية الشرقية معدلا وفق الأحوال السياسية فى المملكات العربية ».

فهذا النظر القاسى يثير الاستخفاف لأنه منتهى المبالغة، ولأنه مجرد عن الدليل الساطع والبرهان الناصع العلمى الذى يستوجبه البحث التاريخى فى مثل هذه الأمور الشائكة، ويتوجبه التقصى وراء الأدلة المقنعة، ولذا فان خلاصة الحجج التى أتى بها من قال بتأثر الشريعة الاسلامية بالشريعة الرومانية هى الشبه الموجود أو المدعى وجوده بين الشريعتين فى بعض الأحكام وتأثير العادات فى البلاد المفتوحة، ولنتعرض لهذه الحجج بالدرس والتمحيص حتى ندحضها ونثبت صحة عكسها :

قال أحد العلماء وهو فون كريمر ان مواضع الشبه بين القانون الرومانى والشريعة المحمدية عديدة، أهمها قاعدة البينة على من ادعى، وسن البلوغ والرشد، وبعض أحكام المعاملات التجارية كالاجارة والبيع والتفريق بين البيع والمقايضة.

أما عن قاعدة « البينة على من ادعى » أى قاعدة وضع عبء الاثبات على المدعى لدى القضاء، تلك القاعدة تستند فى الشريعة الاسلامية إلى الحديث الشريف « البينة على من ادعى واليمين على من أنكر » فالأصل ان المتهم يعتبر بريئاً حتى

تثبت إدانته ، وهذه قاعدة من قواعد العدل يوحى بها المنطق السليم والعقل المجرد ، فالذمة البريئة من شغلها لدين أو التزام تعتبر بريئة حتى يثبت ما يشغلها ، والأصل بقاء ما كان على ما كان حتى يثبت ما يغيره ، وهذه القاعدة تعتبر من الأدلة الشرعية ، ويسميها الأصوليون بالاستصحاب ، وهو الحكم على الشيء بالحال التى كان عليها من قبل حتى يقوم دليل على ما يغيره .

ومن المعلوم والمقطوع به والثابت فى التاريخ ان الحديث أقدم عهداً وتاريخاً من الفتوحات الاسلامية فى البلاد التى كانت خاضعة للشريعة الرومانية ، ومن ثم لا يمكن أن يكون مقتبساً عن هذه الشريعة .

وأيضاً الشبه المزعوم فيما يتعلق بمسألة التفريق بين البيع والمقايضة فى الشريعة الاسلامية والشريعة الرومانية ، هذا الشبه وهمى ، ذلك ان القانون الرومانى أورد تفرقة بين البيع والمقصود به هو مبادلة المال بالنقد وبين المقايضة أى مبادلة المال بالمال ، فالبيع كان من العقود الرضائية وكانت تلك العقود تنعقد بمجرد الايجاب والقبول ، أى بمجرد رضا الطرفين المتعاقدين ، ولكن المقايضة كانت من العقود غير المسماة ، وهذه العقود لم يكن الرضا فيها وحده كافياً لانعقادها بل كانت تستلزم فوق هذا الرضا أن ينفذ العقد من جانب أحد المتقايضين كما ورد ذلك فى مجموعة الديجستا ، وهذا فى الشريعة الرومانية ، أما فى الشريعة الاسلامية فإن المقايضة تدخل ضمن تعريف البيع .

أما فيما يتعلق بمسألة سن البلوغ والرشد فليس هناك شبه جلى ، ذلك أنه عند الرومان كان البلوغ محددا بتمام السنة الثانية عشرة للفتاة والرابعة عشرة للفتى ، أما الشريعة الاسلامية فالرأى السائد أن منتهى سن البلوغ هو خمس عشرة سنة .

نتبين من ذلك ان هذه الأمثلة فيها كثير من المبالغة وليس فيها البرهان المقنع على تأثر المسلمين بفقه الرومان ، وأن هذه الأمثلة ـ بفرض صحتها ـ ليست إلا ضئيلة لا تستحق ذكرا ، لا سيما إذا مالاحظنا الفروق العديدة بين الشريعتين ، فالعبرة

ليست بوجود بعض الموافقات ، لكن العبرة بأهمية هذه المواضع بالقياس إلى مواضع الفروق ، فالفروق الجوهرية كثيرة نورد منها أهمها :

أولا : إن النساء الرومانيات كن تحت الوصايا الدائمة Tutea perepetua mulierum وكن مدى حياتهن لا يمكنهن التصرف بأموالهن إلا بأجازة الوصى ، أما فى الشريعة الاسلامية فالمرأة أعطيت الأهلية التامة الكاملة لإجراء جميع التصرفات الشرعية .

ثانيا : إن المهر عند الرومان يدفع للزوج من طرف الزوجة أو أحد ذويها بينما هو عند المسلمين يدفع إلى الزوجة من طرف الزوج فقد جاء فى الحديث الصحيح « التمس ولو خاتما من حديد »

ثالثا : أن التبنى لا يقره الشرع الاسلامى عملا بالآية الكريمة « وما جعل أدعياءكم أبناءكم » « ادعوهم لآبائهم » مع أن التبنى فى القانون الرومانى كان معروفا وكانت له صورتان : تبن ناقص وكامل .

رابعا : إن الشكل والتعقيد كان ملموسا فى عقود الرومان وفى أصول محاكماتهم بعكس الحال فى الشريعة المحمدية بناء على القاعدة « العبرة فى العقود للمقاصد والمعانى لا للألفاظ والمبانى وأن الأمور بمقاصدها »

خامسا : إن أحكام الشفعة والوقف المعروفة فى الشريعة الاسلامية ليس لها نظير فى القانون الرومانى .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى هل يكفى وجود بعض الموافقات بين الشريعتين الاسلامية والرومانية لإثبات أن أولاهما أخذت عن الثانية . ؟

نرد على ذلك بأنه لاشك فى أن مجرد الشبه وحده لا يكفى بوجه عام لإثبات هذا الزعم ذلك أن هناك تفرقة بين القواعد الكلية والقواعد الجزئية ، فالقواعد الكلية كتحريم القتل بدون حق وتحريم السرقة والزنا وما شابه ذلك ترتكز على مبادىء العدل الأولية ، ولذلك فهى أبدية واحدة ، فلامراء فى أنها تكون متشابهة قديما وحديثا ، وفى مختلف الأحوال والأمصار والشعوب سواءا كانت بين تلك

الشعوب علاقات ومبادلات أم لم تكن . ولاشك أن تلك الحلول التى أتت بها الشريعة الاسلامية فى هذا المضمار تتفق وغرض الشريعة بجلب النفع للناس ودفع الضرر عنهم . ومن ينكر ان القتل والسرقة والزنا أفعال قبيحة وان أضدادها هو الحسن !

أما فيما يتعلق بالأحكام الجزئية فليست دائماً متشابهة فيما بينها ، بل هى فى الغالب مختلفة باختلاف المكان والزمان والظروف الاجتماعية الخاصة ، ولكن مع ذلك فالشبه غير ممتنع فيها ، فاذا وجد هذا الشبه فكما انه يأتى عن طريق التقليد والاقتباس كذلك قد يكون بطريق المصادفة ووحدة الظروف ، ذلك ان الأحكام مبنية على علل وأسباب فإن وجدت الأسباب والعلل متشابهة فى بلدين كان من المعقول ان تكون الأحكام المبنية عليها متشابهة فيهما وفاقاً للمبدأ القائل ان نظائر الأسباب تولد نظائر النتائج ، وهذه القاعدة ليست خاصة بالأحكام الشرعية فحسب ، بل هى شاملة لجميع المظاهر الاجتماعية ، وأوضح مثل على ذلك ان التبنى — أى إدخال الولد الغريب إلى العائلة مكان الولد الحقيقى ليقوم مقامه فى الحقوق والواجبات — قد كان معروفاً عند الهندوس القدماء وعند الرومان ، وكانت علة وجوده خوف رئيس العائلة من أن يموت بلا وارث وحرصه على إيجاد من يتابع الحياة العائلية بعده ، ويقوم بما يجب لتقديس ذكرى الأموات ، فهل هذا الشبه بين شرائع الشعبين البعيدين دليل على ان أحدهما اقتبس أحكام التبنى عن الآخر ؟ .

وكذلك كان العرب فى الجاهلية إذا قصموا عوداً لا تغلق لهم ذمة فكان ذلك علامة التقيد بالوعد أو بالعقد ، وقد كان فى نفس هذا الوقت فى الجهة الأخرى من العالم المعروف وقتئذ - حوالى القرن السادس الميلادى - توجد عند الفرنسيين نفس هذه العادة وبنفس الطريقة ، فقد كانوا يدلون على لحظة تمام العقد ونهاية المفاوضة بكسر عود كما كان يفعل العرب تماماً فى الجاهلية ، وما كانت تربطهم أية رابطة وقتئذ لأن هذا كان قبل عصر هارون الرشيد وشرلمان ، ولم تكن هناك

حروب صليبية ، ولم يكن العرب على صلة بالفرنج فى ذلك الوقت ، فهل هذا الشبه بين شرائع الشعبين البعيدين دليل على ان أحدهما اقتبس هذا الحكم من الآخر ؟ .

وبعد : فكيف تأثر الشرع الاسلامى بالقانون الرومانى ؟ وعن أى طريق نفذ هذا التأثير ؟

قال بعض العلماء ان هذا التأثير جاء عن طريق اليهودية أولا وعن طريق العادات فى البلاد المفتوحة ثانياً .

أما عن الطريقة الأولى فإن الرأى الراجح عندالأصوليين المسلمين يعتبر قاعدة « شرع من قبلنا شرع لنا » من القواعد المختلف فيها ، ولذلك فإن أحكام الشريعة اليهودية مردودة عند المسلمين مالم يكن فى المسألة دليل شرعى يوافقها من نص أو إجماع مثلا .

ولقد ذكر بعض الباحثين أن هناك شبهاً بين الشريعتين المحمدية واليهودية كالعدة ومدة الرضاعة ، ولكن كما نوهنا سلفاً لا عبرة بالشبه فى المسائل الجزئية ، ذلك لأن الخلاف قائم وثابت فعلا فى مسائل أخرى أهم منها فمثلا لم يكن الزواج محرما فى الشريعة اليهودية بين أقرباء الحاشية من الدرجة الثالثة كما بين الخال وابنة أخته ولكن هذا محرم فى الشرع الاسلامى بنص الآية الكريمة « حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت » .

ثم إن الرضاع يعتبر من موانع الزواج فى الشرع الاسلامى على عكس الحال فى الشرع اليهودى .

أما عن تأثير عادات الرومان فى البلاد المفتوحة على الشرع الاسلامى فالثابت أن هذا الشرع مصدره الأساسى النص فى الكتاب والسنة ، وأن هذا النص وصل الى المسلمين عن النبي ﷺ بالوحى الإلهى فى طور التشريع الاسلامى الأول حين لم تتعد الحياة الاسلامية جزيرة العرب ولم تحتك بالثقافة الرومانية ، ومعلوم أن

محاولة غزو جزيرة العرب كانت فاشلة منذ القدم . ولكنه عندما اتسعت الفتوحات الاسلامية واستولى المسلمون على بعض البلاد التى كانت خاضعة للحكم الرومانى كمصر والشام أخذ فقهاؤهم وقضاتهم يعرضون عادات تلك البلاد على أصول الشرع الاسلامى ، فما كان منها ملائما لنصوصه ولمقاصده وحكمته قبلوه بالاجتهاد عن طريق الاجماع أو الاستحسان أو المصلحة أو غير ذلك من الأدلة الشرعية التفصيلية ، وما كان مخالفا للشريعة نبذوه وحكموا بمنعه .

على أن هذه العادات لم تكن رومانية بحتة . بل كانت عادات تجارية شاملة لجميع الشعوب القديمة لاسيما شعوب البحر الأبيض المتوسط ، حتى أن الرومان أنفسهم تأثروا بهذه العادات واتبعوها مسمينها باسم « قانون الشعوب » ليميزوه عن القانون الرومانى الأصلى المعروف باسم القانون الأهلى أو القانون المدنى .

هذا والشعوب كالأفراد لاتعيش بمفردها ، بل هى جزء من كل تشترك فى المبادلات والمعاملات المختلفة ، فهى تتبادل الثقافة والعلوم والعادات كما تتبادل السلع والصناعات ، فالتقليد بين الشعوب كالتقليد بين الأفراد عامل أساسى للحياة لاقتصادية والاجتماعية ، والحوادث التاريخية جميعا لها تأثيرها فى تطور الحضارة ونشوئها ، والفتح الاسلامى لم يخرج على هذا النظام ، فإنه كان الباعث على امتزاج الثقافة الاسلامية بالثقافات القديمة التى كانت فى البلاد المفتوحة ، وكان من جراء ذلك كله تأثير متبادل لاريب فيه .

وأخيرا فاننا نقرر أن الشريعة الاسلامية قائمة بذاتها غير منقولة عن غيرها فهى شريعة مستقلة تمام الاستقلال لها أصولها الخاصة وتاريخها المجيد .

نجيب محمد احمد عطية
بمجمع فؤاد الأول للغة العربية

الأحلام المزعجة

من المعروف عند علماء النفس ان الأحلام تعبر عما يكنه الانسان فى أعماق نفسه من المعانى والنزعات والرغبات المكبوتة ، فهى لغة اللاوعى ، وتقوم وسائل التعبير فيها على الرموز والصور الحسية ، وتسمى هذه بالحلم الظاهر تمييزاً لها عن المعانى المستترة خلف هذه الرموز ، والتى تسمى بالحلم الخفى ، وهو الذى يتضمن المعنى الحقيقى للحلم .

وقد أثار البعض هذا السؤال « إذا كان الحلم تحقيق رغبة فكيف تفسر المشاعر المؤلمة التى نحسها أحيانا فى الأحلام ؟ » . . . ويجيب فرويد بأن تحقيق الرغبة يجب أن يكون باعثاً على السرور بشرط ألا تكون الرغبة متعارضة مع الحوافز الأخرى التى يرتضيها الوعى .

ويحدث كثيراً ألا يرضى الوعى عن بعض الرغبات ، ولذلك فهو يقاومها ولا يترك لها مجالا للظهور ، وهذه الرغبات وان كانت ترضى الجانب البدائى (اللاوعى) أو المنحط فى الانسان إلا أنها لاترضى الجانب الراقى (الوعى) فيه ، ومن هنا يحدث ردّ الفعل الذى يرويه الرقيب على الرغبات الدنيئة أو البدائية التى تصدر عن اللاوعى ، فتكون النتيجة حالة القلق التى تنتاب الانسان عندما لا يكون هناك بد من ظهور هذه الرغبات ، وعندئذ تعد من الأحلام التى تسعى لتحقيق الرغبة بنوع مكشوف ، فإذا حدث وكانت الرغبة مما لا يرضى عنه الحالم ، حلّ الشعور بالقلق والألم محل الرقيب ، وتعد هذه الأحلام نموذجا للأحلام التى تفلت فى غفلة من الرقيب ، وقد تكون حالة القلق التى تنتاب الإنسان نوعا من تأنيب الضمير ، فالمرء إذا اعتقد أنه قصر فى أداء واجب ما عاقب نفسه على تقصيره باللوم والتأنيب .

وقد لاحظ الأستاذ « ريفرز » - بحق - ما بين طبيعة الكابوس المخيفة المزعجة ونظرية فرويد القائلة بأن الحلم تحقيق رغبة من فرق وقال « إذا كان لنا أن ندخل عامل الرغبة ضمن مسببات الأحلام ، فإن رأيي أن الحلم هو إنكار مباشر للرغبة ومحاولة لإخفائها وإبعادها عن الظهور ، وسأدلك على ذلك من واقع ما يجرى فى أحلام الكابوس » .

والشخص الذى يحلم بالكابوس يدل حلمه على موضوع تجربة شديدة أليمة تحاول أن تفرض نفسها على وعيه فلا تلقى هذه التجربة منه إلا الكبت فيحاول ان يبعدها عن حيز انتباهه الواعى ليتقى بذلك الشعور القاسى الذى يصاحبها ، وهذا يحدث ما يسمى بالعقدة أى الصراع بين التجربة أو الواقعة القاسية التى تحاول العودة إلى الذاكرة ، ورغبة الشخص فى منع هذه التجربة من الظهور ، وطالما كان الشخص واعياً يقظا ، فإن الكبت تكون له اليد العليا فيبقى مسيطراً على الموقف حتى إذا كان النوم تنحى الكبت وفقد سيطرته فلا تجد الواقعة الأليمة ما يحول دون ظهورها فتبدو بشكل قوى عنيف شأن القوى المضغوطة فتح لها المخرج .

ولقد دهم الكابوس طفلا عدة ليال متوالية ، ويجدر بنا أن نذكر ان والدته كانت تمنعه من الذهاب مع المدرسة فى رحلاتها خوفا عليه من اخطار الطريق ومن طيش زملائه ، ولكنها كانت تأخذه معها فيما بعد إلى المكان الذى زاره إخوانه فى رحلتهم ، ولكنه كان دائما يلح فى الذهاب مع المدرسة ، وفى حلمه رأى ان المدرسة قد دعته إلى زيارة حديقة الأسماك وان والدته قبلت ان يذهب مع زملائه فكاد يطير فرحا وركب السيارة التى أقلتهم إلى الحديقة فدخلها مع أصحابه ، ووقف أمام حوض فيه سمك يتلوى كأنه الأفاعى ، وكانت إلى جانب الحوض أنبوبة عليها صنبور يدخل منها الماء إلى

الحوض فيهيج السمك ، وكان إلى جانب الطفل تلميذ شقى غافل الحارس وفتح الصنبور على آخره فاندفع الماء منه قويا دفاقا إلى الحوض فذعر السمك لذلك وأخذ يثب وينزل على وجهه ويديه وجعل ينشب أسنانه فى جسده ، وفى يوم آخر رأى نفسه يسير فى حديقة جارهم فرأى حصانا فى أحد جوانبها فقصد إليه وما ان اقترب منه حتى أخذ الحصان يعض قدمه وأطبق بأسنانه عليها وهو يحاول الخلاص ولم يتخلص إلا حينما صحا من نومه ، وفى مرة ثالثة رأى نفسه يسير فى نفس الحديقة وإذا به يرى شيئا لا يستطيع تمييزه فذهب إليه ولكن هذا الشيء وثب عليه وتعلق فى يده بفكيه وحاول أن يتخلص منه ولكن بدون جدوى وظل كذلك حتى أفاق من نومه .

وقد تبين أن هذا الطفل خرج يوما مع أسرته للذهاب إلى الخيالة (السينما) فساروا بحذاء الحديقة ولكن الطفل استرعى انتباهه شيء جاثم تحت السور فذهب يراه ، وهناك وجد هرة ترضع صغارها ففزعت لمقدمه وظنت به سوءا فوثبت عليه وأطبقت بأسنانها على يده وظلت كذلك حتى خلصه منها ذووه ، وآثر الصبى أن يتظاهر بالشجاعة والصبر حتى لا يزعج أهله ، ولكن الأمر كان أخطر من أن يتحمله ، فرأى القطة وقد تشكلت فى أحلامه بأشكال مختلفة ، ومن العجيب أن اللون الأصفر كان عاملا مشتركا فى أحلامه ، فكل من السمك والحصان والشيء الغريب كان أصفر اللون ، وكذلك كان لون القطة ، وإن دل هذا الحلم على شيء فإنما يدل على محاولته إبعاد الذكرى الأليمة عن حيز انتباهه ليتقى بذلك الشعور المؤلم الذى صاحبها ، ولكن الذكرى انتهزت فرصة النوم فظهرت فى حلمه بهذه المظاهر المختلفة حتى ينفس الطفل عن نفسه أحاسيس الذعر التى تجيش بخاطره ، ولما علم الطفل بهذه الحقيقة ذهبت عنه تلك الأحلام .

على أن الأمر بالنسبة لطفل آخر كان أوضح من ذلك ، فقد رأى هذا الصبى فى

نومه أن ثعبانين مخيفين يتسللان من النافذة إلى داخل الغرفة التي ينام فيها فهوى بمضرب كرة عليهما فتهشم المضرب فى يده، وتوالى الكابوس عليه مرارا، فتوجه به والده إلى أحد علماء النفس لتحليل حلمه، وقد تبين أن هذا الطفل نشأ ميالا إلى العزلة والانطواء على نفسه حتى دخل المدرسة فصادف مدرسا شغوفا بالأطفال راح يسبغ عليه حبه وصداقته، ولكن المدرس أصيب بمرض ترك المدرسة من أجله، ففقد الصبى بذلك صديقه الوحيد وعاوده إحساسه بالوحدة فراوده الكابوس، وحين توصل المحلل إلى ذلك عالج الطفل حتى شفى، وذات ليلة حلم الطفل أنه كان سائرا فى حقل فوجد حجرا ثقيلا حاول رفعه فلم يستطع، فصاح طالبا النجدة. فجاء رجل على صياحه وعاونه على رفع الحجر، وإذ ذاك وجدا تحته ثعبانين ميتين، وكان ذلك آخر عهده بالكابوس، والأمر اوضح فى هذه الحالة، لأن مجىء الرجل لنجدته يدل على أنه ماعاد يشعر بالوحدة، والعثور على الثعبانين ميتين يدل على أنه لم يعد يستشعر الخوف والانزعاج.

وكثيرا ما يقع الكابوس للأطفال، وقد يصيب الكبار بسبب بعض الأمراض النفسية والعصبية خصوصا تلك التى يصاب بها الإنسان نتيجة للمشاجرات أو الحروب أو الحوادث الأليمة، ويكون الكابوس فى هذه الحالة صورة مطابقة لما وقع للحالم، ومن مميزاته أن يكون مصحوبا بعواطف جامحة شديدة، وينتهى عادة بأن يصحو الحالم فى حالة فظيعة من الخوف والذعر، ويصاحب هذا الشعور كل المظاهر الجثمانية التى تلازم الخوف، كتصبب العرق والارتجاف وسرعة دقات القلب والتنفس المضطرب، وقد يحدث تعديل أو تغيير فيما وقع للحالم، وفى هذه الحالة تخف وطأة عاطفة الخوف قليلا وما يصاحبها من الظواهر الجثمانية وتظهر على هامش الحلم صور وحوش مفترسة.

ولا يرتضى المحدثون من علماء النفس هذا الرأى، ويقولون إن الكابوس

إنما يدل على أن هناك مشكلة مستعصية فيصورها العقل الباطن فى صورة كابوس مزعج يكون بمثابة « إشارة الخطر » التى تنذر بوجود مشكلة كبرى تعمقت جذورها فى نفس الحالم .

ولقد دهم الكابوس ذات ليلة شخصاً يعمل بأحد مخازن الأدوية وكان يعمل أثناء الحرب قائدا لإحدى قاذفات القنابل وقد اشترك فى عدة غارات جوية على ألمانيا فصاح وهو نائم « لقد اشتعلت الطائرة إنها تهوى سريعاً هيا اقفزوا يارفاق » وقد قرروا أن الكابوس لم يدهمه بسبب ذكريات الحرب الرهيبة . فإن الحرب قد انتهت وصار بين الحالم وبين سماء ألمانيا آلاف الأميال وهو الآن يقيم آمناً فى بلدة هادئة لا يهددها أى خطر ، أما سبب الكابوس فهو الحاضر لأنه بالنسبة للحالم ليس على ما يرام ، وهو لايستطيع أن ينسى تلك الأيام التى كان يدعى فيها الكابتن ديرى ويتناول طعامه فى فندق فاخر ، فكيف يرضى بعد ذلك أن يعود إلى عمله الضئيل ذى المرتب البسيط كعامل فى أحد مخازن الأدوية ، وهكذا صار يحس بالتبرم والضيق واليأس ، بل صار ينتابه إحساس المأزوم الذى تحترق به الطائرة وهو سجين بداخلها لايملك الخلاص ، فإنه لايملك النجاة من حياته الحاضرة وعمله الحقير ومرتبه الضئيل ، وهكذا تجسمت مشكلته هذه فصورها عقله الباطن فى صورة الكابوس .

ويقول فرويد إن الكابوس حلم فاشل وذلك لسببين :

أولا : لأنه يزعج النوم . . . وثانياً : لأنه لم يتم تكوينه بعد .

ولكن يلاحظ أن الكابوس ليس إلا إعادة أو ترديداً لحادثة مروعة وقعت للحالم ثم استقرت فى نفسه وعلقت بذهنه بدرجة شديدة لا تتناسب وحفظ التوزان النفسى الذى إذا فقده المرء فقد الراحة النفسية ، لذلك كان ظهور الحادث

فى الحلم وفى صورة متغيره بعض الشيء ضرورياً لتخفيف أو إزالة الضغط النفسى الناشىء عن انحباس العواطف التى أوجدها الحادث ، وهذا ما تقوم به آلية خاصة بالإنسان لا بأس من تسميتها بالآلية النفسية وهى تعمل على طرد ما يزيد على حاجتها من آراء وأفكار وصور وعواطف وأحاسيس ، والتى إن بقيت أضرت بالنفس كما تضر فضلات الطعام والشراب والهواء إذا بقيت به ، وقد رأى شخص فى نومه أن ثوراً هائجاً صادف غلاماً فى الطريق فبقر بطنه بقرنيه واختفى عن الأنظار وترك الغلام المسكين سابحاً فى دمه وهرع إليه الحالم ومعه بعض المارة ثم وقفوا أمامه واجمين وقد ظهر الحزن على وجوههم ، وقد تبين أن هذا الثور رمز لسيارة نقل كبيرة رآها الحالم تدهم غلاماً فى أحد الشوارع وقد فر بها السائق عقب الحادث واختفى عن الأنظار ولما اجتمع الناس حول الغلام صاح أحدهم قائلا لقد أفلت منا ذلك الثور اللعين (يعنى السائق) ولما كان من الطبيعى أن هذا الحادث لا يمر على الحالم كما يمر غيره من الحوادث التافهة التى يراها الشخص والتى لا تترك أثراً فى نفسه فقد تأثر الحالم تأثراً شديداً كاد يفقده بهجة الحياة وأفقده الشهية للطعام وحرمه النوم الهادىء وأصبح يسائل نفسه عن علة ظلم الانسان لأخيه الانسان ، ومن البين ان الحالم لا جريرة له فيما وقع . ولما كان على الانسان ان يعتبر من الحوادث فقد نشطت فيه غريزة المحافظة على الذات فعملت على ان يلفظ العقل الفضلات من الأفكار والصور والعواطف التى نشأت بفعل الحادثة وبذلك تخرج بقايا الحوادث بعد ان يأخذ العقل لها ليكون منها مادة تكون عبرة يستفيد منها الانسان فى مستقبله ، وهذا ما وقع للحالم فقد استبقى الجزء الصالح وهو تجنب السيارات المسرعة وترك الجزء الفاسد منها .

ومن ثم لا يخفى ما لبعض أحلام الكابوس من فائدة تطهير الذهن من محتوياته الفاسدة ، ومن الواضح ان اللجوء إلى إعادة ذكر الصدمة النفسية أو الحادثة التى

سببت العقدة النفسية من الوسائل المعروفة فى الطب النفسى ، كما ان الوصول الى كشف العلة للمريض شرط من شرائط التحليل النفسى .

لذلك كان انقطاع النوم أثناء حلم الكابوس خيراً من استمراره ما دام فى ذلك تخلص المرء مما يثقل نفسه ، ولا شك ان الأفضل انقطاع النوم ما دام ذلك يؤدى إلى تحرر النفس مما يؤذيها . لان يستمر النوم على حساب استمرار المرض النفسى ، وليس هذا فحسب ، ولكن لهذا النوع من الأحلام فائدة أخرى ، فإذا انتقلنا من الانسان إلى الحيوان وجدنا ان حالة النوم تحول دون استعداده للدفاع عن نفسه بمهاجمة العدو لرد عدوانه أو الهرب منه ، والكابوس يوقظ الحيوان وهو فى وضع يسمح له بالدفاع أو الهجوم فوراً مزوداً بعاطفة الغضب التى تسمح له بالبدء فى التنفيذ دون ان يتعارض ذلك مع موقف الهرب لو تطلب الأمر ذلك .

هذا ما وصل إليه علماء النفس رغم قلة ما نعرفه عن حياة الحيوان النفسية ، ورغم عدم قدرة الحيوان على سرد أحلامه علينا ، ورغم عجزنا عن فهم لغته ، لذلك ما زال أمامنا وقت طويل للوصول إلى وظيفة الكابوس عند الحيوان وإلى أى حد تساعد على إيقاظه فى حالة تجعله مستعداً لدرء مايحيط به من أخطار ، وقد يكون له وظائف اخرى عند الانسان ربما يكشف المستقبل القريب عنها فهو كفيل بالكشف عن كثير مما خفى عن عقولنا ، والله يعلم وانتم لا تعلمون .

محمد الفاتح جاد

الخطابة

الاسلام دين الامن والسلام

الخطبة التى أذيعت فى افتتاح مسجد الأميرة فريال
بمصر الجديدة يوم ١٩٥٢/٢/٨

الحمد لله دعا الى الهدى والرشاد، وحذر من العدوان والفساد وأشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له لايصلح عمل المفسدين وأشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله امام المتقين وقدوة المصلحين. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين أخلصوا لربهم فى السر والعلن، وتجنبوا الفواحش ماظهر منها ومابطن منها فأسعدهم ربهم وأعزهم ومكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم اولئك الذين هداهم الله واولئك هم أولو الالباب.

أما بعد فيقول الله تعالى وهو أصدق القائلين «يأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولاتتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين».

عباد الله يدعو الله عباده المؤمنين الى السلام ورعاية الأمن والنظام ومخالفة الشيطان، وفى الاستجابة لهذه الدعوة الحكيمة خير الوطن وسعادته واطمئنانه وهناءته حتى يتبوأ المكانة الجديرة به بين الأمم التى شيد النظام أركانها وأعلى قدرها. فاذا توافر ذلك ورفرفت راية السكينة على ربوع البلاد وامن كل فرد على نفسه وماله تضافر الجميع على الانتاج والتعمير والانشاء والتجديد. أما اذا ثارت

الفتن واضطرب الامن وعمت الفوضى وقف الانتاج وتعطلت المواهب وشغلت الأمة باطفاء الفتنة عن الجهاد فى انجاح قضية البلاد .

ولقد عرفت مصر بكرم الوفادة وحسن الضيافة فأقبل عليها النزلاء يتعاونون مع ابنائها على تنمية مواردها ، والنهوض بثروتها فأفادوا واستفادوا فاذا كان قد وقع بالأمس بعض الحوادث الأليمة من بعض الأغرار الذين لايقدرون العواقب ولايزنون الأمور فتلك فورة لاتعبر عن رأى الأمة ولا تتفق مع ميولها ولاتوائم تعاليم دينها وقد أسفت لها البلاد حكومة وشعبا .

ألا فليعلم اولئك العابثون بالنظام الموقدون لنار الفتنة المعتدون على الابرياء الآمنين انهم معاول تهدم صرح الأمة وتبدل عزها ذلا وقوتها ضعفا وأمنها خوفا اولئك أشد خطرا عليها من اعدائها لأنها أمنتهم فخانوها واعتزت بهم فخذلوها . وقد رسم لنا القرآن الكريم طريق القضاء على عوامل الفوضى والفساد والضرب على أيدى المفسدين والتنكيل بالمعتدين وقطع دابر المجرمين قال تعالى «إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا ان يقتلوا أو يصلبوا أوتقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أوينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم» .

أيها المواطنون . فى الحوادث الأخيرة تعرضت قاهرة المعز وحاضرة الكنانة والعاصمة الثقافية للبلاد الاسلامية . لفتنة جائحة وخسارة فادحة . تلك العاصمة التى تذخر منذ قرون ببيوت الله والمزارات الطاهرة التى تشع منها هداية الايمان والنور والعرفان فتضفى على سا كنيها الامن والطمأنينة والاستقرار والسكينة فكانت حوادث الاضطراب فيها على غير مألوف أهليها خسرت بسببها أموالا مصرية وغير مصرية . وقد كان جديراً بأبنائها ان يصونوا تراثها المجيد ويحافظوا على سمعتها الطيبة ويقيموا للعالم الدليل على ان دينهم دين يأبى الظلم ويمقت العدوان .

ايها المواطنون : ليكن لنا من الحادثات عبر ومن الشدائد نذر ومن تعاليم ديننا ومجد اسلافنا ما يقوى العزيمة ويبعث فينا الأمل وليقم كل منا نفسه حارساً على الأمن واعياً للنظام حتى لا يتمكن العابثون من عبثهم ونشر شرورهم وارتكاب جرائمهم . واعلموا ان العالم ينظر إلينا فلاتدعوا سبيلا للعابثين ولا طريقاً للناقدين فإن الأيام العصيبة فى تاريخ الأمم والشعوب اقوى حافز الى اليقظة والانتباه وأكبر عامل على تضافر القوى وتوحيد الصفوف وجمع الكلمة فإن يد الله مع الجماعة والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه ، وليقبل كل منا على عمله مخلصاً لوطنه وربه جاعلا مصلحة بلاده اول غايته وآخر هدفه . فاتقوا الله واعتصموا بأخلاق القرآن والتجئوا عند الشدائد الى حصانة اليقين وقوة الايمان واصبروا وصابروا تنعموا بعيش رغيد ومآل سعيد « يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » . روى البيهقى عن رسول الله ﷺ انه قال « المؤمن من أمنه الناس على أعراضهم وأموالهم . والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » .

الخطبة الثانية

الحمد لله الرؤوف الرحيم ، العزيز الحكيم ، وأشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له جعل السعادة فى التمسك بآداب الدين وسلوك الطريق القويم . وأشهد ان سيدنا محمداً عبده ورسوله الذى أرسله الله رحمة للعالمين . اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين .

أما بعد فياعباد الله : الاسلام دين بر وتعاون وعدالة وتضامن ، بهذه المبادىء القويمة توثقت الروابط بيننا وبين النزلاء الآمنين فلم تنل منها محاولات المغرضين ولا دسائس الدساسين بل باءت كل جهودهم بالفشل الذريع وبقيت هذه الصلات

قوية كالطود العظيم مقدسة تقديس العقيدة محوطة بالاجلال والتكريم .

وقد كانت المساجد ولا تزال مهد الهداية الاسلامية والدعوة إلى المبادىء الانسانية ، لذلك عنى المسلمون بتأسيسها وتشييدها والقيام على شئونها وتعميرها .

وان من فضل الله ان يوفق الخيرين من المسلمين إلى إنشائها والانفاق عليها فذلك علامة الايمان والهدى والخشية والتقى قال ﷺ « اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان ثم تلا قول الله تعالى « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى اولئك أن يكونوا من المهتدين » .

اللهم اجمع كلمتنا وقو وحدتنا واهدنا صراطك المستقيم ، اللهم وفقنا للخيرات واغفر لنا وللمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ، اللهم إنا نسألك ان تعز الاسلام وتنصر المسلمين وان تعلى بفضلك كلمة الحق والدين وأن تشمل بعنايتك ورعايتك عبدك المخلص فى طاعتك ملك مصر والسودان فاروقاً الأول أيده الله .

اللهم احفظه ووفقه لصالح الأعمال وحقق على يديه الآمال .

للهم انه أيد دينك فأيد عرشه وهيء لأمته ما يتمناه من مجد وهناء ونصر ورخاء يا رب العالمين .

كما نسألك ان تحوط برعايتك وعطفك ولى عهده المحبوب الأمير احمد فؤاد أمير الصعيد حفظه الله .

اللهم اصنعه على عينك ، وبارك عليه بفضلك ، وأقر به عين والديه الكريمين واجعل ميلاده بشير خير وإسعاد للبلاد والعباد يا رب العالمين .

عباد الله : إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون .

مكافحة الاسلام للتسول

الخطبة التى أذيعت من مسجد السيدة سكينة يوم ١٥ / ٢ / ١٩٥٢

الحمد لله له الفضل والنعمة وله السلطان والعزة نحمده ونشهد أن لا إله إلا الله ذو الفضل العظيم ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله استعاذ من العجز والكسل وحث على السعى والعمل ودعا إلى كل خلق كريم . اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ذوى العزائم الصادقة والأيدى الطاهرة العاملة . جزاهم الله أحسن ما كانوا يعملون .

أما بعد : فقد قال رسول الله ﷺ : (لأن يأخذ أحدكم حبلا فيأتى بحزمة حطب فيكف وجهه خير من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه) .

عباد الله : اهتم الإسلام بالدعوة إلى العمل لأنه رسالة الإنسان فى هذه الحياة ومظهر عزته وكرامته . ورغب فيه بشتى الأساليب ووعد العاملين حسن ثواب الدنيا والآخرة وأهاب بالقادرين على العمل ألا يركنوا إلى الدعة والكسل فإن سبل العيش لا تضيق فى الحياة بطالبيها والراغبين فيها . فعن أنس رضى الله عنه أن رجلا من الأنصار أتى النبى ﷺ فسأله. قال له النبى ﷺ : (مافى بيتك شىء قال بلى يارسول الله حلس — كساء — نلبس بعضه ونبسط بعضه وقعب — إناء — نشرب فيه من الماء .فقال ائتنى بهما فأخذهما رسول الله ﷺ وقال من يشترى هذين ؟قال رجل أنا آخذهما بدرهم قال رسول الله ﷺ من يزيد على درهم قالها مرتين أو ثلاثا ؟قال رجل أنا آخذهما بدرهمين . فأعطاهما إياه وأخذ الدرهمين فأعطاهما الانصارى وقال اشتر بأحدهما طعاماً فأنبذه إلى أهلك واشتر بالآخر قدوماً فأتنى به فأتاه به فشد فيه رسول الله ﷺ عوداً بيده وقال اذهب فاحتطب وكل ولا أرينك خمسة عشر يوماً ففعل فجاءه وقد أصاب عشرة دراهم فاشترى ببعضها ثوباً وببعضها طعاماً فقال له رسول الله ﷺ هذا خير من أن

تجيء المسألة نكتة فى وجهك يوم القيامة) .

بهذا التوجيه الكريم صان الرسول ﷺ كرامة السائل ودلنا على أن الذين يباشرون الحرف الصغيرة خير من الذين يتسولون ويستجدون ويعيشون كلا على غيرهم بل هم خير من الذين يتظاهرون بالصلاح والزهادة ويقعدون عن العمل والكسب اكتفاء بما تجود عليهم أيدى المحسنين . قال عبدالله بن المبارك ليست العبادة عندنا ان تصف قدميك وغيرك يقوت لك ولكن ابدأ برغيفيك فاحرزهما ثم تعبد .

عباد الله : حارب الإسلام التسول وذم المتسولين لأنه داء وبيل ومرض خطير له خطورته فى الأفراد والجماعات وله سوء أثره فى الأمم والشعوب فهو بلا شك يسىء سمعة الأمة ويشوه جلالها ويحط من أقدارها وينزلها من عليائها وعن مستواها اللائق بها بين الأمم الراقية والشعوب الحية الناهضة ويحرمها ثمرات جهود كثير من أبنائها كما أنه يحط من قدر المتسولين من أبناء الأمة ويسىء سمعتهم ويذهب بشرفهم وكرامتهم ويريق ماء وجوههم ويلبسهم فى الدنيا ثوب الخزى والعار ويوم القيامة جزاؤهم النار يصلونها وبئس القرار قال رسول الله ﷺ : (من سأل الناس تكثراً فإنما يسأل جمراً فليستقل أو ليستكثر) وقال عليه الصلاة والسلام : (لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله تعالى وليس فى وجهه مزعة لحم) .

أيها المواطنون : لقد اهتم ولاة الأمور بمكافحة التسول حفظاً لكرامة الأمة وسمعتها وتطهيراً للبلاد من داء التسول والمتسولين ففتحوا مكاتب الضمان الاجتماعى فى أنحاء القطر لمنح معاشات شهرية للشيوخ والمرضى والزمنى والأرامل والأيتام . وجدوا فى جمع محترفى التسول لحجزهم فى الملاجىء المعدة لهم وقاية للمجتمع من شرهم وحفظاً للبلاد من عارهم .

فاتقوا الله عباد الله ولا تشجعوا المتسولين بعطائكم ووجهوا صدقاتكم إلى أبواب الخير التى يعم نفعها المجتمع فإن أبواب الخير العام كثيرة فأمامكم المبرات وجمعيات الأسعاف والجماعات الخيرية تطلب مساعدتكم وإحسانكم . واغرسوا

فى نفوس الناس حب العمل وحب العزة والكرامة (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون).

روى البخارى ان رسول الله ﷺ قال : (ليس المسكين الذى ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذى لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه ولا يقوم فيسأل الناس).

الخطبة الثانية

الحمد لله العليم الخبير ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الهادى إلى سبيل الرشد البشير النذير، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه المؤمنين الطاهرين .

أما بعد : فقد قال رسول الله ﷺ : (ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده وأن نبى الله داود ﷺ كان يأكل من عمل يده) .

عباد الله : قد يحصل الإنسان على القوت والمال من غير عمل كأرث أو هبة أو استجداء ولكن الطعام الذى يتناوله الإنسان من ثمرة عمله يكون أهنأ وأمرأ والمال الذى يحصل عليه من كسب يده يكون أبرك وأنفع وقد أخبرنا رسول الله ﷺ فى هذا الحديث الشريف بما كان من أمر نبى الله داود عليه السلام فأنه ﷺ مع ما أنعم الله عليه من شرف الحكم والنبوة كان يصنع الدروع السابغات ويبيعها ليأكل من ثمرة يده وكسب عمله وليكون لمن أرسل إليهم خير قدوة وليفهم الناس ان مبادىء النفوس الشريفة الجد والنشاط والسعى والعمل .

اللهم وفقنا للخيرات واغفر لنا وللمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات . اللهم إنا نسألك أن تعز الإسلام وتنصر المسلمين وان تعلى بفضلك كلمة الحق والدين وان تشمل بعنايتك ورعايتك عبدك المخلص فى طاعتك ملك مصر والسودان فاروقاً الأول أيده الله . اللهم احفظه ووفقه لصالح الأعمال وحقق على يديه الآمال يارب العالمين . عباد الله : ان الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون.

وزارة الأوقاف

تشهر فى المناقصة العامة عملية تشغيل وتوريد الاثاثات اللازمة لمستشفى المنشاوية بالعباسية وتقبل العطاءات بقسم المخازن والمشتريات لغاية ظهر يوم ٣ / ٣ / ١٩٥٢ ويمكن الحصول على مستندات العملية من خزينة الوزارة نظير مبلغ ٣٥٠ — والمدة اللازمة لاتمام العمل هى شهران من تاريخ التصريح .
ملیم جنيه

٣٤٢

مصلحة البلديات

تقبل العطاءات بمجلس دسوق البلدى حتى ظهر يوم ٢٠ / ٣ / ١٩٥٢ عن عملية انشاء مجموعة مباول ومراحيض وتطلب الشروط والمواصفات من المجلس على ورقة دمغة فئة خمسين مليما نظير مبلغ ٥٠٠ — للنسخة . وكل عطاء لا يرفق به تأمين ابتدائى قدره ٢ ٪ من قيمته لا يلتفت اليه
مليم جنيه

٧٩٤

مصلحة البلديات

تقبل العطاءات بمجلس بنى مزار البلدى حتى ظهر يوم ٢٢ مارس سنة ١٩٥٢ عن عملية انشاء مقبرة لفقراء المسلمين . وتطلب الشروط والمواصفات من المجلس على ورقة دمغة فئة خمسين مليما نظير مبلغ ٣٠٠ — للنسخة . وكل عطاء لا يرفق به تأمين ابتدائى قدره ٢ ٪ من قيمته لا يلتفت اليه
مليم جنيه

٨٤٠

مصلحة البلديات

تقبل العطاءات بمصلحة البلديات (بوستة قصر الدوبارة) لغاية ظهر يوم ٣١ / ٣ / ١٩٥٢ عن عملية مبنى الاسطبلات والمخازن بقليوب وتطلب الشروط والمواصفات من المصلحة على ورقة دمغة فئة الخمسين مليما مقابل دفع مبلغ — ٣ خلاف أجرة البريد . وكل عطاء غير مصحوب بتأمين ابتدائى قدره ٢ ٪ لا يلتفت اليه
جنيه مليم

٨٦٢

الادارة الهندسية القروية

بأسيوط

تقبل عطاءات لغاية الساعة الثانية عشر ظهر يوم السبت ٢٢ مارس سنة ١٩٥٢ عن توريد وتركيب مواسير حديد مجلفن أو حديد أسود قطر ٢ اثنين بوصه لتوصيل المياه من عملية المياه إلى مكتب الصحة الشامل بالغنايم .

وتقدم الطلبات على ورقة دمغه من فئة الخمسين مليما للحصول على الشروط والمواصفات من الإدارة الهندسية بأسيوط نظير دفع مائتى مليم بخلاف خمسون مليما أجرة البريد .

٨٨٥

مصلحة البلديات

تقبل العطاءات بمجلس دمياط البلدى حتى ظهر يوم ٢٥ مارس سنة ١٩٥٢ عن عملية انشاء غرفة ودورة مياه بمحطة الكهرباء وتطب الشروط والمواصفات من المجلس على ورقة دمغة فئة خمسين

مليم جنيه

مليما نظير مبلغ ٤٠٠ – للنسخة وكل عطاء لايرفق به تأمين ابتدائى قدره ٢ ٪ من قيمته لا يلتفت اليه

٨٥٤

مطبعة مخيمر

شارع فاروق — تليفون ٤٧١٩٣